لان القرآن إنما نزل رحمة من الله لعباده . ومن المناسب أن يبتدأ بهذه الصفة التي اقتضت إرسال الرسول وإنزال الكتاب . وقد وصف الله كتابه ونبيه بالرحمة في آيات عديدة ، فقد قال تعالى :

" هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ٧ : ٢٠٣ . وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ١٠ : ٥٧ . ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ١٦ : ٨٩ . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ١٧ : ٨٢ . وما أرسلناك إلارحمة للعالمين ٢١ : ١٠٧ . وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ٢٧ : ٧٧ " .

ذكر الرحيم بعد الرحمن :

قد عرفت أن هيئة فعيل تدل على أن المبدأ فيها من الغرائز والسجايا غير

المنفكة عن الذات (١) . وبذلك تظهر نكتة تأخير كلمة " الرحيم " عن كلمة " الرحمن " فإن هيئة " الرحمن " تدل على عموم الرحمة وسعتها ولا دلالة لها على أنها لازمة للذات ، فأتت كلمة " الرحيم " بعدها للدلالة على هذا المعنى .

وقد اقتضت بلاغة القرآن أن تشير إلى كلا الهدفين في هذه الآية المباركة ، فالله رحمن قد وسعت رحمته كل شئ وهو رحيم لا تنفك عنه الرحمة .

وقد خفي الامر على جملة من المفسرين ، فتخيلوا أن كلمة " الرحمن " أوسع معنى من كلمة " الرحيم " بتوهم أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني . وهذا التعليل ينبغي أن يعد من المضحكات ، فإن دلالة الالفاظ تتبع كيفية وضعها ، ولا صلة لها بكثرة الحروف وقلتها . ورب لفظ قليل الحروف كثير المعنى ، وبخلافه لفظ آخر ، فكلمة حذر تدل على المبالغة دون كلمة حاذر ، وإن كثيرا ما يكون الفعل المجرد والمزيد فيه بمعنى واحد ، كضر وأضر .

هذا إذا فرضنا أن يكون استعمال كلمة " الرحمن " استعمالا اشتقاقيا وأما بناء على كونها من أسماء الله تعالى وبمنزلة اللقب له نقلا عن معناها اللغوي – وقد تقدم إثبات ذلك – فإن في تعقيبها بكلمة " الرحيم " زيادة على ما ذكر إشارة إلى

سبب النقل ، وهو اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة .

هل البسملة من القرآن ؟

اتفقت الشيعة الامامية على أن البسملة آية من كل سورة بدئت بها ، وذهب اليه ابن عباس ، وابن المبارك ، وأهل مكة كابن كثير ، وأهل الكوفة كعاصم ، والكسائي ، وغيرهما ما سوى حمزة . وذهب اليه أيضا غالب أصحاب الشافعي (٢) وجزم به قراء مكة والكوفة (٣) ، وحكي هذا القول عن ابن عمر ، وابن الزبير

* (هامش) * (١) مر ذلك في الصفحة ٤٢٢ من هذا الكتاب .

(٢) تفسير الآلوسي ج ١ ص ٣٩ .

(٣) تفسير الشوكاني ج ١ ص ٧ . (*)

/ صفحة ٤٣٩ /

وأبي هريرة ، وعطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، ومكحول ، والزهري ، وأحمد بن حنبل في رواية عنه ، واسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام (١) وعن البيهقي نقل هذا القول عن الثوري ومحمد بن كعب (٢) ، واختاره الرازي في تفسيره ونسبه إلى قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز ، وإلى ابن المبارك والثوري ، واختاره أيضا جلال الدين السيوطي مدعيا تواتر الروايات الدالة عليه معنى (٣) .

وقال بعض الشافعية وحمزة : " إنها آية من فاتحة الكتاب خاصة دون غيرها " ونسب ذلك إلى أحمد بن حنبل ، كما نسب اليه القول الاول (٤) .

وذهب جماعة : منهم مالك ، وأبو عمرو ، ويعقوب إلى أنها آية فذة وليست جزء من فاتحة الكتاب ولا من غيرها ، وقد انزلت لبيان رؤوس السور تيمنا ، وللفصل بين السورتين ، وهو مشهور بين الحنفية (٥) .

غير أن أكثر الحنفية ذهبوا إلى وجوب قراءتها في الصلاة قبل الفاتحة وذكر الزاهدي عن المجتبى أن وجوب القراءة في كل ركعة هي الرواية الصحيحة عن أبي حنيفة (٦) .

وأما مالك فقد ذهب إلى كراهة قراءتها في نفسها ، واستحبابها لاجل الخروج من الخلاف (٧) .

* (هامش) * (١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٦ .

(٢) تفسير الخازن ج ١ ص ١٣ .

(٣) الاتقان النوع ٢٢ – ٢٧ ج ١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٤) تفسير الآلوسي ج ١ ص ٣٩ .

---

(٥) نفس المصدر .
(٦) نفس المصدر .
(٧) الفقه على المذاهب الاربعة ج ١ ص ٢٥٧ . (*)
/ صفحة ٤٤٠ /
أدلة جزئية البسملة للقرآن :
وفي هذه المسألة أقوال أخر شاذة لا فائدة في التعرض لها ، ولكن المهم بيان الدليل على المذهب الحق ويقع ذلك في عدة أمور :
١ – أحاديث أهل البيت :
وهي الروايات الصحيحة المأثورة عن أهل البيت – عليهم السلام – الصريحة في ذلك (١) وبها الكفاية عن تجشم أي دليل آخر بعد أن جعلهم النبي صلى الله عليه واله وسلم عدلا للقرآن في وجوب التمسك بهم والرجوع اليهم (٢) .
١ – عن معاوية بن عمار قال :
" قلت لابي عبد الله عليه السلام إذا قمت للصلاة أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة القرآن ؟ قال : نعم . قلت : فإذا قرأت فاتحة القرآن أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة ، قال : نعم " (٣) .
٢ – عن يحيى بن أبي عمران الهمداني قال :
" كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام جعلت فداك ما تقول في رجل ابتدأ : ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أم الكتاب فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة تركها ؟ فقال العباسي : ليس بذلك بأس ، فكتب بخطه : يعيدها – مرتين – على رغم أنفه ، يعني العباسي " (٤) .
* (هامش) * (١) وللاطلاع على الروايات المذكورة يراجع فروع الكافي باب قراءة القرآن ص ٨٦ ، والاستبصار باب الجهر بالبسملة ج ١ ص ٣١١ ، والتهذيب – باب كيفية الصلاة وصفتها ج ١ ص ١٥٣ ، ٢١٨ ، ووسائل الشيعة باب أن البسملة آية من الفاتحة ج ١ ص ٣٥٢ .

(٢) تقدم بعض مصادر هذا الحديث في الصفحة " ١٨ ، ٣٩٨ " من هذا الكتاب .
(٣) الكافي ج ٣ ص ٣١٢ ط دار الكتب الاسلامية .
(٤) نفس المصدر ص ٣١٣ . (*)
/ صفحة ٤٤١ /
٣ – وفي صحيحة ابن أبي أذينة :
" . . فلما فرغ من التكبير والافتتاح أوحى الله اليه سم باسمي فمن أجل
ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة ثم أوحى الله اليه أن احمدني

فلما قال : الحمد لله رب العالمين ، قال النبي صلى الله عليه واله وسلم في نفسه شكرا فأوحى الله عز
وجل إليه قطعت حمدي فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل في الحمد : الرحمن الرحيم
مرتين ، فلما بلغ ولا الضالين قال النبي صلى الله عليه واله وسلم الحمد لله رب العالمين شكرا فأوحى
الله اليه قطعت ذكري فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم
في أول السورة ثم أوحى الله عز وجل اليه إقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى
قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (١) .
٢ – أحاديث أهل السنة :
وقد دلت على ذلك أيضا روايات كثيرة من طرق أهل السنة نذكر جملة منها :
١ – ما رواه أنس قال :
" بينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه
متبسما ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : أنزلت علي آنفا سورة
فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر . . " (٢) .
٢ – ما أخرجه الدارقطني بسند صحيح عن علي عليه السلام :
" أنه سئل عن السبع المثاني ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقيل له : إنما
هي ست آيات ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم آية " (٣) .
* (هامش) * (١) الكافي ج ٣ .
(٢) صحيح مسلم باب حجة من قال البسملة آية ج ٢ ص ١٢ ، وسنن النسائي باب قراءة البسملة ج ١ ص ١٤٣ ، وسنن أبي داود باب الجهر بالبسملة ج ١ ص ١٢٥ .

(٣) الاتقان النوع ٢٢ – ٢٧ ج ١ ص ١٣٦ ، ورواهما البيهقي في سننه باب الدليل على أن البسملة آية تامة ج ٢ ص ٤٥ . (*)

/ صفحة ٤٤٢ /

٣ – ما أخرجه الدارقطني أيضا بسند صحيح عن أبي هريرة قال :

" قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : إذاقرأتم الحمد فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم فانها أم القرآن ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني . وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها " (١) .

٤ – ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس قال :

" السبع المثاني فاتحة الكتاب . قيل : فأين السابعة ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم " (٢) .

٥ – ما أخرجه ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال :

" استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن : بسم الله الرحمن الرحيم " (٣) .

٦ – ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

" كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت " (٤) .

٧ – ما رواه سعيد عن ابن عباس :

" أن النبي صلى الله عليه واله وسلم كان إذاجاءه جبرئيل فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أن ذلك سورة " (٥) .

* (هامش) * (١) نفس المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر ، ورواه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٥٥١ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٥ ، ورواه البيهقي في سننه باب افتتاح القراءة في الصلاة ج ٢ صفحة ٥٠ .

(٤) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٢٣٢ قال الحاكم : هذا صحيح على شرط الشيخين .

(٥) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٢٣١ . (*)

/ صفحة ٤٤٣ /

٨ – ما رواه ابن جريج قال :

" أخبرني أبي أن سعيد بن جبير أخبره ، قال : ولقد آتيناك سبعا من المثاني
قال : هي أم القرآن ، قال أبي : وقرأ علي سعيد بن جبير بسم الله الرحمن الرحيم
الآية السابعة . قال سعيد بن جبير : وقرأها علي ابن عباس كما قرأتها عليك ، ثم
قال : بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة . قال ابن عباس : فأخرجها الله لكم
وما أخرجها لاحد قبلكم " (١) . إلى غير ذلك من الروايات . ومن أراد الاطلاع
عليها فليراجع مظانها .

الروايات المعارضة :

وليس بإزاء هذه الروايات إلاروايتان دلتا على عدم جزئية البسملة للسورة :

١ – إحداهما : رواية قتادة عن أنس بن مالك ، قال : صليت مع رسول
الله صلى الله عليه واله وسلم وأبي بكر وعمرو عثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن
الرحيم (٢) .

---

٢ – ثانيتهما : مارواه ابن عبد الله بن مغفل يزيد بن عبد الله ، قال :
" سمعني أبي وأنا أقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : أي بني ! إياك
قال : ولم أرأحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان أبغض اليه حدثا في
الاسلام منه ، فإني قد صليت مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومع أبي بكر وعمر ، ومع
عثمان فلم أسمع أحدا منهم يقولها فلا تقلها ، إذا أنت قرأت فقل : الحمد لله رب
العالمين " (٣) .

* (هامش) * (١) نفس المصدر السابق كتاب فضائل القرآن ص ٥٥٠ .

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ١٧٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ . وصحيح مسلم باب حجة من لا يجهر
بالبسملة ج ٢ ص ١٢ . وسنن النسائي باب ترك الجهر بالبسملة ج ١ ص ١٤٤ . وروى قريبا
منه عن عبد الله بن مغفل .

(٣) مسند أحمدج ٤ ص ٨٥ ، ورواه الترمذي باختلاف يسير باب ما جاء في ترك الجهر
بالبسملة ج ٢ ص ٤٣ . (*)

/ صفحة ٤٤٤ /

والجواب عن الرواية الاولى :

– مضافا إلى مخالفتها للروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام – أنها
لا يمكن الاعتماد عليها من وجوه :

الوجه الاول : معارضتها بالروايات المتواترة معنى ، المنقولة عن طرق أهل السنة ، ولا سيما أن جملة منها صحاح الاسانيد ، فكيف يمكن تصديق هذه الرواية ؟ مع شهادة ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأم سلمة على أن رسول الله كان يقرأ البسملة ويعدها آية من الفاتحة ، وإن ابن عمر كان يقول : لم كتبت إن لم تقرأ ! " وإن عليا عليه السلام كان يقول : " من ترك قراءتها فقد نقص " وكان يقول : " هي تمام السبع المثاني " (١) .

الوجه الثاني : مخالفتها لما اشتهر بين المسلمين من قراءتها في الصلاة ، حتى أن معاوية تركها في صلاته في يوم من أيام خلافته ، فقال له المسلمون : " أسرقت أم نسيت ؟ " (٢) .

ومع هذا كيف يمكن التصديق بأن رسول الله " ص " ومن بعده لم يقرأوها !

الوجه الثالث : مخالفتها لما استفاض نقله عن أنس نفسه (٣) فالرواية موضوعة

ما في ذلك من شك .

والجواب عن الرواية الثانية :

– وهي رواية ابن عبد الله بن مغفل – يظهر مما تقدم في الجواب عن الرواية

* (هامش) * (١) انظر التعليقة رقم (١٤) لمعرفة أن البسملة جزء من القرآن بشهادة جملة من الاحاديث

– في قسم التعليقات .

(٢) انظر التعليقة رقم (١٥) قصة نسيان معاوية لقراءة البسملة واعتراض المسلمين عليه – في قسم التعليقات .

(٣) انظر التعليقة رقم (١٦) للوقوف على أن النبي – ص – كان يقرأ البسملة في كل صلاة ، ثم توجيه رواية أنس – في قسم التعليقات . (*)

/ صفحة ٤٤٥ /

الاولى ، على أنها تضمنت ما يخالف ضرورة الاسلام ، فإنه لا يشك أحد من المسلمين في استحباب التسمية قبل الحمد والسورة ، ولو بقصد التيمن والتبرك ، لا لان البسملة جزء ، فكيف ينهى ابن مغفل عنها بدعوى أنها حدث في الاسلام !

٣ – سيرة المسلمين :

لقد استقرت سيرة المسلمين على قراءة البسملة في أوائل السور غير سورة

براءة ، وثبت بالتواتر أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يقرأها ، ولو لم تكن من القرآن للزم على الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم أن يصرح بذلك ، فإن قراءته – وهو في مقام البيان – ظاهرة في أن جميع ما يقرأ قرآن ، ولو لم يكن بعض ما يقرأ قرآنا
ثم لم يصرح بذلك لكان ذلك منه إغراء منه بالجهل وهو قبيح ، وفي ما يرجع إلى الوحي الالهي أشد قبحا ، ولو صرح الرسول صلى الله عليه واله وسلم بذلك لنقل الينا بالتواتر مع أنه لم ينقل حتى بالآحاد .
٤ – مصاحف التابعين والصحابة :
مما لا ريب فيه أن مصاحف التابعين والصحابة – قبل جمع عثمان وبعده – كانت مشتملة على البسملة ، ولو لم تكن من القرآن لما أثبتوها في مصاحفهم ، فان الصحابة منعت أن يدرج في المصحف ما ليس من القرآن ، حتى أن بعض المتقدمين منعوا عن تنقيط المصحف وتشكيله . فإثبات البسملة في مصاحفهم شهادة منهم بأنها من القرآن كسائر الايات المتكررة فيه .

(٣٠٢/١)

وما ذكرناه يبطل احتمال أن إثباتهم إياها كان للفصل بين السور . ويبطل هذه الدعوى أيضا إثبات البسملة في سورة الفاتحة ، وعدم إثباتها في أول سورة براءة . ولو كانت للفصل بين السور ، لاثبتت في الثانية ، ولم تثبت في الاولى .
وذلك يدلنا قطعا على أن البسملة آية منزلة في الفاتحة دون سورة براءة .
أدلة نفاة جزئية البسملة :
واستدل القائلون بأن البسملة ليست جزء من السورة بوجوه :
/ صفحة ٤٤٦ /
الوجه الاول :
أن طريق ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر ، فكل ما وقع النزاع في ثبوته فهو ليس من القرآن ، والبسملة مما وقع النزاع فيه .
والجواب أولا :
أن كون البسملة من القرآن مما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام ولا فرق في التواتر بين أن يكون عن النبي صلى الله عليه واله وسلم وبين أن يكون عن أهل بيته الطاهرين بعد أن ثبت وجوب اتباعهم .
وثانيا : أن ذهاب شر ذمة إلى عدم كون البسملة من القرآن لشبهة لا يضر

بالتواتر ، مع شهادة جمع كثير من الصحابة بكونها من القرآن ، ودلالة الروايات المتواترة عليه معنى .

وثالثا : أنه قد تواتر أن النبي صلى الله عليه واله وسلم يقرأ البسملة حينما يقرأ سورة من القرآن وهو في مقام البيان ، ولم يبين أنها ليست منه وهذا يدل دلالة قطعية على أن البسملة من القرآن . نعم لا يثبت بهذا أنها جزء من السورة . ويكفي لاثباته ما تقدم من الروايات ، فضلا عما سواها من الاخبار الكثيرة المروية من الطريقين . والجزئية تثبت بخبر الواحد الصحيح ، ولا دليل على لزوم التواتر فيها أيضا .

الوجه الثاني ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة قال :

" سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل : فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال : أثنى علي عبدي

وإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال العبد : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي / صفحة ٤٤٧ /

ما سأل ، فإذا قال : إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل " (١) .

وتقريب الاستدلال في هذه الرواية أنها تدل – بظاهرها – على أن ما بعد آية إياك نعبد وإياك نستعين يساوي ما قبلها في العدد ، ولو كانت البسملة جزء من الفاتحة لم يستقم معنى الرواية ، وذلك : لان سورة الفاتحة – كما عرفت – سبع آيات ، فإن كانت البسملة جزء كان ما بعد آية : إياك نعبد وإياك نستعين آيتين ، ومعنى ذلك أن ما قبل هذه الاية ضعف ما بعدها ، فالفاتحة لا تنقسم إلى نصفين في العدد .

والجواب عنه أولا :

أن الرواية مروية عن العلاء ، وقد اختلف فيه بالتوثيق والتضعيف .

وثانيا : أنه لو تمت دلالتها ، فهي معارضة بالروايات الصحيحة المتقدمة الدالة على أن الفاتحة سبع آيات ، مع البسملة لا بدونها .

وثالثا : إنه لا دلالة في الرواية على أن التقسيم بحسب الالفاظ ، بل الظاهر انه بحسب المعنى ، فالمراد أن أجزاء الصلاة بين ما يرجع إلى الرب وما يرجع إلى العبد بحسب المدلول .

ورابعا : أنه لو سلمنا أن التقسيم إنما هو بحسب الالفاظ فأي دليل على انه بحسب عدد الايات ، فلعله باعتبار الكلمات ، فإن الكلمات المتقدمة على آية " إياك نعبد وإياك نستعين " والمتأخرة عنها ، مع احتساب البسملة وحذف المكررات عشر كلمات .

الوجه الثالث : ما رواه أبو هريرة :

* (هامش) * (١) صحيح مسلم باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ج ٢ ص ٦ ، وسنن أبي داود – باب من

ترك القراءة في صلاته ج ١ ص ١٣٠ ، وسنن النسائي باب ترك قراءة البسملة في فاتحة الكتاب ج ١ ص ١٤٤ . (*)

/ صفحة ٤٤٨ /

" من أن سورة الكوثر ثلاث آيات (١) ، وأن سورة الملك ثلاثون آية " (٢)

فلو كانت البسملة جزء منها ، لزاد عددهما على ذلك .

والجواب :

إن رواية أبي هريرة في سورة الكوثر على فرض صحة سندها معارضة برواية أنس ، وقد تقدمت (٣) وهي رواية مقبولة روتها جميع الصحاح غير موطأ مالك (٤) فرواية أبي هريرة مطروحة أو مؤلة بإرادة الايات المختصة ، فإن البسملة مشتركة بين جميع السور ، وهذا هو جواب روايته في سورة الملك .

* (هامش) * (١) لم أعثر على هذه الرواية في كتب الروايات .

(٢) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٥٦٥ ، وصحيح الترمذي باب ما جاء في فضل سورة الملك ج ١١ ص ٣٠ ، وكنز العمال فضائل السور والايات ج ١ ص ٥١٦ ، ٥٢٥ .

(٣) في الصفحة ٤٤١ من هذا الكتاب .

(٤) تيسير الوصول ج ١ ص ١٩٩ . (*)

/ صفحة ٤٤٩ /

(٢)

تحليل آية

الحمد لله رب العالمين – ٢ . الرحمن الرحيم – ٣ .

مالك يوم الدين – ٤ .

القراءة

المشهور على ضم الدال من كلمة " الحمد " ، وكسر اللام من كلمة " الله "

وقرأ بعضهم بكسر الدال إتباعا له لما بعده ، وقرأ بعضهم بضم اللام إتباعا له لما قبله ، وكلتا القراءتين شاذة لا يعتنى بها .

واختلفت القراءات في كلمة مالك ، والمعروف منها اثنتان : إحداهما على زنة " فاعل " وثانيتهما على زنة " كتف " . وقرأ بعضهم على زنة " فلس " وقرأ بعضهم على زنة " فعيل " . وقرأ أبو حنيفة بصيغة الماضي ، وغير الاوليين من القراءات شاذ لا اعتبار به .

(البيان – ٢٩)

/ صفحة ٤٥٠ /

وجوه ترجيح القراءتين :

وقد ذكروا لترجيح كل واحدة من القراءتين الاوليين " زنة فاعل وفعل " على الاخرى وجوها ، منها :

١ – أن مفهوم مالك أوسع وأشمل ، فإذا قيل : مالك القوم استفيد منه كونه ملكا لهم . وإذا قيل : ملك القوم لم يستفد منه كونه مالكهم ، فقراءة مالك أرجح من قراءة ملك .

٢ – أن الزمان لا تضاف اليه كلمة مالك غالبا ، وإنما تضاف اليه كلمة ملك ، فيقال : ملك العصر ، وملوك الاعصار المتقدمة ، فقراءة ملك أرجح من قراءة مالك .

(٣٠٥/١)

عدم جدوى الترجيح :

والصحيح أن الترجيح في القراءات المعروفة لا محصل له ، فان القراءات إن ثبت تواترها عن النبي صلى الله عليه واله وسلم فلا معنى للترجيح ما بينها ، وإن لم يثبت كما هو الحق (١) فان أوجب الترجيح الجزم ببطلان القراءة المرجوحة فهو ، ودون إثباته خرط القتاد . وإن لم يوجب ذلك – كما هو الغالب – فلا فائدة في الترجيح بعد

أن ثبت جواز القراءة بكل واحدة منها (٢) .
والترجيح في المقام باطل على الخصوص ، فإن اختلاف معنى مالك ومعنى ملك إنما يكون إذا كان الملك – السلطنة والجدة – أمرا اعتباريا فإنه يختلف حينئذ باختلاف موارده ، وهذا الاختلاف يكون في غير الله تعالى ، وأما ملك الله سبحانه فإنه حقيقي ناشئ عن إحاطته القيومية بجميع الموجودات ، فهذه الاحاطة بذاتها منشأ صدق مالك وملك عليه تعالى ، ومن ذلك يتضح أن نسبة
* (هامش) * (١) تقدمت أدلة ذلك في الصفحة ١٥١ من هذا الكتاب .
(٢) تقدم بيان ذلك في الصفحة ١٦٧ من هذا الكتاب . (*)
/ صفحة ٤٥١ /
مالك إلى الزمان إذا لم تصح في غير الله فلا يلزمها عدم صحتها فيه سبحانه فهو مالك للزمان كما هو مالك لغيره .
وقد يقال :
إضافة مالك إلى يوم الدين إضافة لفظية لا تفيد التعريف فلا يصح أن تقع الجملة وصفا للمعرفة ، فالمتعين قراءة ملك ، فإن المراد به السلطان وهو في حكم الجامد ، وإضافته إضافة معنوية .
وأجيب عنه :
في الكشاف وغيره بأن إضافة اسم الفاعل ونحوه تكون لفظية إذا كان بمعنى الحال والاستقبال ، ومعنوية إذا كان بمعنى الماضي أو أريد به الدوام .
ومن الاول قوله تعالى :
" الحمد لله فاطر السماوات والارض جاعل الملائكة
رسلا ٣٥ : ١ " .
ومن الثاني قوله تعالى :
" تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ٤٠ : ٣ " .
والمقام من قبيل الثاني ، فإن مالكيته تعالى ليوم الدين صفة ثابتة له لا تختص

بزمان دون زمان ، فيصح كون الجملة صفة للمعرفة .
والتحقيق أن الاضافة مطلقا لا تفيد تعريفا ، وإنما تفيد التخصيص والتضييق

والتعريف إنما يستفاد من عهد خارجي .

ودليل ذلك .

/ صفحة ٤٥٢ /

انه لا فرق بالضرورة بين قولنا غلام لزيد ولنا غلام زيد فكما أن القول الاول لا يفيد إلا التخصيص كذلك القول الثاني ، والتخصيص يتحقق في موارد الاضافة اللفظية كما يتحقق في موارد الاضافة المعنوية .

والفارق : أن التخصيص في الاولى لم ينشأ من الاضافة ، بل هو حاصل بدونها ، وأن الاضافة لم تفد إلا التخفيف إلا أن هذا لا يوجب أن لا يقع المضاف فيها صفة للمعرفة ، فإن المصحح لذلك إن كان هو التخصيص فهو موجود في مواردها ، وإن كان هو التعريف الحاصل من العهد الخارجي فهو مشترك بين الاضافتين معا ، فلا فرق في مقام الثبوت ، بلحاظ ذات المعنى بين موارد الاضافتين .

وجميع ما ذكروه لا يرجع إلى محصل : نعم يبقى الكلام في مقام الاثبات ، وقد ادعي الاتفاق على أن المضاف بالاضافة اللفظية لا يقع صفة لمعرفة إذا كان المضاف من الصفات المشبهة ، وأما غيرها فقد نقل سيبويه عن يونس والخليل وقوعه صفة للمعرفة في كلام العرب كثيرا (١) وعليه يحمل ما ورد في القرآن من ذلك ، كما في المقام .

وأما قول الكشاف : إن اسم الفاعل هنا بمعنى الاستمرار فهو واضح البطلان فإن إحاطة الله تعالى بالموجودات ، ومالكيته لها وإن كانت استمرارية إلا أن كلمة مالك في الاية المباركة قد اضيفت إلى يوم الدين ، وهو متأخر في الوجود ، فلا بد من أن يكون اسم الفاعل المضاف اليه بمعنى الاستقبال .

وأما التفرقة التي ذكرها بعضهم في اسم الفاعل المضاف بين ما إذا كان بمعنى الماضي فيصح وقوعه صفة للمعرفة ، وبين غيره فلا يصح ، لان حدوث الشئ يوجب تعينه ، فهي بينة الفساد ، فإن حدوث الشئ لا يستلزم – في الغالب – العلم به ، وإذا كانت العبرة بالعلم الشخصي فلا فرق بين تعلقه بالماضي وتعلقه بغيره .

---

* (هامش) * (١) تفسير أبي حيان ج ١ ص ٢١ . (*)

/ صفحة ٤٥٣ /

والحاصل أن المتبع في الكلام العربي هو القواعد المتخذة من استعمالات العرب الفصحى : ولا اعتماد على الوجوه الاستحسانية الواهية التي يذكرها النحويون .

اللغة

الحمد :

ضد اللوم ، وهو لا يكون إلا على الفعل الاختياري الحسن ، سواء أكان إحسانا للحامد أم لم يكن ، والشكر مقابل الكفران ، وهو لا يكون إلا للانعام والاحسان ، والمدح يقابل الذم ، ولا يعتبر أن يكون على الفعل الاختياري فضلا عن كونه إحسانا ، والالف واللام في كلمة الحمد للجنس إذ لا عهد ، وتقدم معنى كلمات : " الله . الرحمن . الرحيم " .

الرب :

مأخوذ من ربب ، وهو المالك المصلح والمربي ، ومنه الربيبة ، وهو لا يطلق على غيره تعالى إلا مضافا إلي شئ ، فيقال : رب السفينة ، رب الدار .

العالم :

جمع لا مفرد له كرهط وقوم ، وهو قد يطلق على مجموعة من الخلق متماثلة ، كما يقال : عالم الجماد ، عالم النبات ، عالم الحيوان . وقد يطلق على مجموعة يؤلف بين أجزائها اجتماعها في زمان أو مكان ، فيقال : عالم الصبا ، عالم الذر ، عالم الدنيا ، عالم الاخرة . وقد يطلق ويراد به الخلق كله على اختلاف حقائق وحداته ، ويجمع بالواو والنون ، فيقال : عالمون ويجمع على فواعل ، فيقال : عوالم ، ولم يوجد في لغة العرب ما هو على زنة فاعل ، ويجمع بالواو والنون غير هذه الكلمة .

الملك :

الاحاطة والسلطة ، وهذه قد تكون خارجية حقيقية كما في إحاطته تعالى بالموجودات ، فإن كل موجود إنما يتقوم في ذاته بخالقه وموجده ، وليس له

واقع مستقل سوى التدلي والارتباط بعلته الموجدة ، والممكن فقير محتاج إلى المؤثر في حدوثه وفي بقائه ، فهو لا ينفك عن الحاجة أبدا :

" والله الغني وأنتم الفقراء ٤٧ : ٣٨ " .

وقد تكون اعتبارية ، كما في ملكية الناس للاشياء ، فإن ملكية زيد لما

بيده مثلا ليست إلا اعتبار كونه مالكا لذلك الشئ ، وأن زمان أمره بيده ، وذلك عند حدوث سبب يقتضيه من عقد أو إيقاع أو حيازة أو إرث أو غير ذلك ، حسب ما توجبه المصلحة في نظر الشارع أو العقلاء . والملكية عند الفلاسفة هيئة حاصلة من إحاطة شئ بشئ ، وهي أحد الاعراض التسعة ، ويعبر عنها بمقولة الجدة ، كالهيئة الحاصلة من إحاطة العمامة بالرأس أو الخاتم بالاصبع .

الدين :

بمعنى الجزاء والحساب ، وكلاهما مناسب للمقام ، فان الحساب مقدمة للجزاء ويوم الحساب هو يوم الجزاء بعينه .

التفسير

بين سبحانه أن طبيعة الحمد وجنسه تختص به تعالى ، وذلك لامور :

الامر الاول :

إن حسن الفعل وكماله ينشأ من حسن الفاعل وكماله ، والله سبحانه هو الكامل المطلق الذي لا نقص فيه من جهة أبدا ، ففعله هو الفعل الكامل الذي لا نقص فيه أبدا :

" قل كل يعمل على شاكلته ١٧ : ٨٤ " .

/ صفحة ٤٥٥ /

وأما غيره فلا يخلو عن نقيصة ذاتية بل نقائص ، فأفعاله لا محالة تكون كذلك . والفعل الحسن المحض يختص به سبحانه ، ويمتنع صدوره من سواه ، فهو المختص بالحمد ويمتنع أن يستحقه أحد سواه . وقد أشير إلى هذا بقوله : " الحمد لله " فقد عرفت أن كلمة " الله " علم للذات المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال . وقد ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال : " فقد لابي بغلة فقال : لئن ردها الله علي لاحمدنه بمحامد يرضاها ، فما لبث أن جئ بها بسرجها ولجامها ، ولما استوى وضم اليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله ، ولم يزد ، ثم قال : ما تركت ولا أبقيت شيئا جعلت جميع أنواع المحامد لله عز وجل فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت " (١) . وعنه – سلام الله عليه – : " ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال : الحمد لله ، إلا أدى شكرها " (٢) .

الامر الثاني :

إن الكمال الاول لكل ممكن من العقول والنفوس والارواح والاشباح إنما

هو وجوده ولا ريب في أنه فعل الله سبحانه وهو مبدعه وموجده . وأما الكمال الثاني وهى الامور التي توجب الفضل والميز ، فما كان منه خارجا عن اختيار المخلوق فهو أيضا من أفعال الله تعالى بلا ريب . وذلك كما في نمو النبات وإدراك الحيوان منافعه ومضاره ، وقدرة الانسان على بيان مقاصده . وما كان منه صادرا عن المخلوقين باختيارهم ، فهي وإن كانت الختيارية إلا أنها منتهية إلى الله سبحانه ، فانه الموفق للصواب ، والهادي إلى الرشاد . وقد ورد : " إن الله أولى بحسنات العبد منه " (٣) وقد أشير إلى ذلك بجملة " رب العالمين " .

الامر الثالث :

إن الفعل الحسن الصادر من الله تعالى لا يرجع نفعه اليه ، لانه الكامل المطلق

* (هامش) * (١) تفسير البرهان ج ١ ص ٢٩ وقريب منه في اصول الكافي باب الشكر ص ٣٥٦ .

(٢) اصول الكافي باب الشكر ص ٣٥٦ .

(٣) الوافي باب الخير والقدر ج ١ ص ١١٩ . (*)

/ صفحة ٤٥٦ /

الذي يستحيل عليه الاستكمال . وفعله إنما هو إحسان محض يرجع نفعه إلى المخلوقين . وأما الفعل الحسن الصادر من غيره فهو وإن كان إحسانا إلى أحد في بعض الاحيان ، إلا أنه إحسان إلى نفسه أولا وبالذات ، وبه يدرك كماله : " إن أحسنتم أحسنت لانفسكم ١٧ : ٧ " .

فالاحسان المحض إنما هو فعل الله تعالى لا غير فهو المستحق للحمد دون غيره وإلى ذلك أشير بجملة : " الرحمن الرحيم " .

ثم إن الثناء على الفعل الجميل قد يكون ناشئا عن إدراك الحامد حسن ذات الفاعل وصفاته من دون نظر إلى إنعامه ، أو الرغبة فيه ، أو الرهبة منه . وقد يكون ناشئا عن النظر إلى أحد هذه الامور الثلاثة ، فقد أشير إلى المنشأ الاول بجملة : " الحمد لله " فالحامد يحمده تعالى بما أنه مستحق للحمد في ذاته ، وبما أنه مستجمع لجميع صفات الكمال منزه عن جميع جهات النقص . وأشير إلى المنشأ الثاني بجملة : " رب العالمين " فانه المنعم على عباده بالخلق والايجاد ، ثم

بالتربية والتكميل . وأشير إلى المنشأ الثالث بجملة : " الرحمن الرحيم " .
فان صفة الرحمة تستدعي الرغبة في نعمائه تعالى وطلب الخير منه . وأشير
إلى المنشأ الرابع بقوله : " مالك يوم الدين " ، فان من تنتهي اليه الامور
ويكون اليه المنقلب جدير بأن ترهب سطوته ، وتحذر مخالفته . وقد يكون
الوجه هو بيان أن يوم الدين هو يوم ظهور العدل والفضل الالهيين ، وكلاهما جميل
لا بد من حمده تعالى لاجله ، فكما أن أفعاله في الدنيا من الخلق والتربية والاحسان
كلها أفعال جميلة يستحق عليها الحمد فكذلك أفعاله في الاخرة من العفو والغفران
وإثابة المطيعين ، وعقاب العاصين كلها أفعال جميلة يستوجب الحمد بها .
ومما بيناه يتضح أن جملة : " الرحمن الرحيم " ليس تكرارا أتي بها
للتأكيد – كما زعمه بعض المفسرين – بل هي لبيان منشأ اختصاص الحمد به تعالى
فلا يغني عنه ذكرها أولا في مقام التيمن والتبرك ، وهو ظاهر .
/ صفحة ٤٥٧ /
(٣)
تحليل آية
إياك نعبد وإياك نستعين – ٥ .
اللغة
العبادة :
في اللغة تأتي لاحد معان ثلاثة :
الاول : الطاعة ، ومنه قوله تعالى :
" ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
إنه لكم عدو مبين ٣٦ : ٦٠ " .
فان عبادة الشيطان المنهي عنها في الاية المباركة إطاعته .
الثاني : الخضوع والتذلل ، ومنه قوله تعالى :
" فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
٢٣ : ٤٧ " .
/ صفحة ٤٥٨ /
أي خاضعون متذللون ، ومنه أيضا إطلاق " المعبد " على الطريق الذي
يكثر المرور عليه .
الثالث : التأله ، ومنه قوله تعالى :
" قل إنما أمرت أن أ عبد الله ولا أشرك به ١٣ : ٣٦ " .
وإلى المعنى الاخير ينصرف هذا اللفظ في العرف العام إذا أطلق دون قرينة .

والعبد : الانسان وإن كان حرا ، لانه مربوب لبارئه ، وخاضع له في
وجوده وجميع شؤونه ، وإن تمرد عن أوامره ونواهيه .
والعبد : الرقيق لانه مملوك وسلطانه بيد مالكه ، وقد يتوسع في لفظ العبد

فيطلق على من يكثر اهتمامه بشئ حتى لا ينظر إلا اليه ، ومنه قول أبي عبد الله
الحسين عليه السلام : " الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت
معايشهم وإذا محصوا بالبلاء قل الديانون " (١) .
وقد يطلق العبد على المطيع الخاضع ، كما في قوله تعالى :
" أن عبدت بني إسرائيل ٢٦ : ٢٢ " .
أي جعلتهم خاضعين لا يتجاوزون عن أمرك ونهيك .
الاستعانة :
طلب المعونة ، تتعدى بنفسها وبالباء ، يقال استعنته واستعنت به أي طلبت
منه أن يكون عونا وظهيرا لي في أمري .
* (هامش) * (١) البحار باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد بن معاوية ج ١٠ ص ١٨٩
. (*)
/ صفحة ٤٥٩ /
الاعراب
" إياك " : في كلا الموردين مفعول قدم على الفعل لافادة الحصر ، وفي الاية
التفات من الغيبة إلى الخطاب . والسر في ذلك أحد أمرين :
الاول : أن سابق هذه الاية الكريمة قد دل على أن الله سبحانه هو المالك
لجميع الموجودات ، والمربي لها والقائم بشؤونها ، وهذا يقتضي أن تكون
الاشياء كلها حاضرة لديه تعالى ، وأن يكون – سبحانه – محيطا بالعباد وبأعمالهم
ليجازيهم يوم الدين بالطاعة أو بالمعصية ، واقتضى ذلك أن يظهر العبد حضوره
بين يدي ربه ويخاطبه .
الثاني : ان حقيقة العبادة خضوع العبد لربه بما أنه ربه والقائم بأمره والربوبية
تقتضي حضور الرب لتربية مربوبه ، وتدبير شؤونه . وكذلك الحال في الاستعانة
فإن حاجة الانسان إلى إعانة ربه وعدم استقلاله عنه في عبادته تقتضي حضور
المعبود لتتحقق منه الاعانة ، فلهذين الامرين عدل السياق من الغيبة إلى الخطاب

فالعبد حاضر بين يدي ربه غير غائب عنه .

التفسير

بعد أن مجد الله نفسه بالايات المتقدمة لقن عباده أن يتلوا هذه الاية الكريمة وأن يعترفوا بمدلولها وبمغزاها ، فهم لا يعبدون إلا الله ، ولا يستعينون إلا به ، فإن ما سوى الله من الموجودات فقير في ذاته ، عاجز في نفسه ، بل هو لا شئ

بحت ، إلا أن تشمله العناية الالهية ، ومن هذا شأنه لا يستحق أن يعبد أو يستعان ، والممكنات كلها – وان اختلفت مراتبها بالكمال والنقص – تشترك في صفة العجز اللازمة للامكان ، وفي ان جميعها تحت حكم الله وإرادته :

/ صفحة ٤٦٠ /

" ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ٤٧ : ٥٤ .

ولله ملك السماوات والارض وإلى الله المصير ٢٤ : ٤٢ " .

من ذا الذي يعارضه في سلطانه وينازعه في أمره وحكمه ؟ وهو القابض والباسط ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فالمؤمن لا يعبد غير الله ، ولا يستعين إلا به ، فان غير الله – أيا كان – محتاج إلى الله في جميع شؤونه وأطواره والمعبود لا بد وأن يكون غنيا ، وكيف يعبد الفقير فقيرا مثله ؟ ! .

وعلى الجملة : الايمان بالله يقتضي أن لا يعبد الانسان أحدا سواه ، ولا يسأل حاجته إلا منه ، ولا يتكل إلا عليه ، ولا يستعين إلا به ، وإلا فقد أشرك بالله وحكم في سلطانه غيره :

" وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ١٧ : ٢٣ " .

/ صفحة ٤٦١ /

البحث الثاني

حول آية الحمد

/ صفحة ٤٦٢ /

العبادة والتأله . العبادة والطاعة . العبادة والخضوع . السجود لغير الله . دواعي العبادة .

حصر الاستعانة بالله . الشفاعة .

/ صفحة ٤٦٣ /

العبادة والتأله :

مما لا يرتاب فيه مسلم : ان العبادة بمعنى التأله تختص بالله سبحانه وحده ،

وقد قلنا : إن هذا المعنى هو الذي ينصرف اليه لفظ العبادة عند الاطلاق ،

وهذا هو التوحيد الذي ارسلت به الرسل ، وأنزلت لاجله الكتب :

" قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا

أربابا من دون الله ٣ : ٦٤ " .

فالايمان بالله تعالى لا يجتمع مع عبادة غيره ، سواء أنشأت هذه العبادة عن

اعتقاد التعدد في الخالق ، وإنكار التوحيد في الذات ، أم نشأت عن الاعتقاد

بأن الخلق معزولون عن الله فلا يصل اليه دعاؤهم ، وهم محتاجون إلى إله أو آلهة

(٣١٣/١)

اخرى تكون وسائط بينهم وبين الله يقربونهم اليه ، وشأنه في ذلك شأن الملوك

وحفدتهم ، فإن الملك لما كان بعيدا عن الرعية احتاجت إلى وسائط يقضون

حوائجهم ، ويجيبون دعواتهم .

وقد أبطل الله سبحانه كلا الاعتقادين في كتابه العزيز ، فقال تعالى في إبطال

الاعتقاد بتعدد الالهة :

/ صفحة ٤٦٤ /

" لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ٢١ : ٢٢ . وما كان

معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على

بعضه سبحان الله عما يصفون ٢٣ : ٩١ " .

وأما الاعتقاد الثاني – وهو إنما ينشأ عن مقايسته بالملوك والزعماء من البشر –

فقد أبطله الله بوجوه من البيان :

فتارة يطلب البرهان على هذه الدعوى ، وأنها مما لم يدل عليه دليل ، فقال :

" ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين

٢٧ : ٦٤ . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ٢٦ : ٧١ .

قال هل يسمعونكم إذ تدعون : ٧٢ . أو ينفعونكم أو

يضرون : ٧٣ . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون : ٧٤ " .

وأخرى بإرشادهم إلى ما يدركونه بحواسهم من أن ما يعبدونه لا يملك لهم

ضرا ولا نفعا ، والذي لا يملك شيئا من النفع والضر ، والقبض والبسط ،
والاماتة والاحياء ، لا يكون إلا مخلوقا ضعيفا ، ولا ينبغي أن يتخذ إلها معبودا :
" قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا
يضركم ٢١ : ٦٦ . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا
تعقلون : ٦٧ . قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم
ضرا ولا نفعا ٥ : ٦ . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ٧ : ١٤٨ " .
/ صفحة ٤٦٥ /
وهذا الحكم عقلي فطري شاءت الحكمة أن تنبه العباد عليه في هذه الايات
المباركة ، وهو سار في كل موجود ممكن محتاج ، وإن كان نبيا :
" وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس
اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون
لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم

ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب
٥ : ١١٦ . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي
وربكم : ١١٧ " .
وأبطل هذا الاعتقاد مرة ثالثة ، بأن الله قريب من عباده يسمع نجواهم
ويجيب دعواهم ، وأنه القائم بتدبيرهم وبتربيتهم ، فقال تعالى :
" ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ٥٠ : ١٦ . أليس
الله بكاف عبده ٣٩ : ٣٦ . أدعوني أستجب لكم ٤٠ : ٦٠ .
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ٦ : ١٨ . قل إن
تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في
السماوات وما في الارض والله على كل شئ قدير ٣ : ٢٩ .
وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك
بخير فلا راد لفضله ١٠ : ١٠٧ . وإن يمسسك بخير فهو على
(البيان - ٣٠)
/ صفحة ٤٦٦ /

كل شئ قدير ٦ : ١٧ . الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
١٣ : ٢٦ . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ٥١ : ٥٨ .
ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ٤٢ : ١١ . ألا إنه بكل
شئ محيط ٤١ : ٥٤ .
فالله سبحانه غير معزول عن خلقه ، وأمورهم كلها بيده ، ولا يفتقر العباد
إلى وسائط تبلغه حوائجهم ، ليكونوا شركاء له في العبادة ، بل الناس كلهم شرع
سواء في أن الله ربهم وهو القائم بشؤونهم :
" ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة
إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم
أينما كانوا ٥٨ : ٧ . كذلك الله يفعل ما يشاء ٣ : ٤٠ . إن
الله يحكم ما يريد ٥ : ١ " .
وعلى الجملة ، لا شك لمسلم في ذلك . وهذا ما يمتاز به الموحد عن غيره ، فمن
عبد غير الله واتخذه ربا كان كافرا مشركا .
العبادة والطاعة :
لا شك أيضا في وجوب طاعة الله سبحانه ، وفي استحقاق العقاب عقلا على
مخالفته ، وقد تكرر في القرآن وعد الله تعالى لمن أطاعه بالثواب ووعيده لمن
عصاه بالعقاب .
وأما إطاعة غير الله تعالى فهي على أقسام :
الاول : أن تكون إطاعته بأمر من الله سبحانه وبإذنه كما في إطاعة الرسول
/ صفحة ٤٦٧ /

الاكرم صلى الله عليه واله وسلم وأوصيائه الطاهرين عليهم السلام وهذا في الحقيقة إطاعة الله
سبحانه ، فهو واجب أيضا بحكم العقل :
" من يطع الرسول فقد أطاع الله ٤ : ٨٠ . وما
أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ٤ : ٦٤ " .
ومن أجل ذلك قرن الله طاعة رسوله بطاعته في كل مورد أمر فيه بطاعته :
" ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ٣٣ : ٧١ .
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي

الامر منكم ٤ : ٥٩ " .

الثاني : أن تكون إطاعة غير الله منهيا عنها ، كإطاعة الشيطان وإطاعة كل من أمير بمعصية الله ، ولا شك في حرمة هذا القسم شرعا ، وقبحه عقلا ، بل قد تكون كفرا أو شركا ، كما إذا امر بالشرك أو الكفر :

" يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين

٣٣ : ١ . فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا

٧٦ : ٢٤ . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به

علم فلا تطعهما ٣١ : ١٥ " .

الثالث : أن تكون إطاعة غير الله مجردة لا أمر بها من الله ولا نهى ، وهي حينئذ تكون جائزة لا واجبة ولا محرمة .

/ صفحة ٤٦٨ /

العبادة والخضوع :

لا ينبغي الريب في أنه لا بد للمخلوق من أن يخضع ويتذلل لخالقه ، فإن ذلك مما حكم به العقل ، وندب اليه الشرع .

وأما الخضوع والتذلل للمخلوق فهو على أقسام :

أحدها : الخضوع لمخلوق من دون إضافة ذلك المخلوق إلى الله بإضافة خاصة وذلك : كخضوع الولد لوالده ، والخادم لسيده والمتعلم لمعلمه ، وغير ذلك من الخضوع المتداول بين الناس ، ولا ينبغي الشك في جواز هذا القسم ما لم يرد فيه نهى كالسجود لغير الله ، بل جواز هذا القسم مقتضى الضرورة ، وليس فيه أدنى شائبة للشرك ، وقد قال عز من قائل :

" واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما

كما ربياني صغيرا ١٧ : ٢٤ " .

أفترى أنه سبحانه أمر بعبادة الوالدين ، حيث أمر بالتذلل لهما ؟ مع أنه قد نهى عن عبادة من سواه قبل ذلك :

" وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا

١٧ : ٢٣ " .

أم ترى أن خفض الجناح من الذل – كما تفعله صغار الطير – هو من الاحسان

الذي أمرت به الاية الكريمة ، وجعلته مقابلا للعبادة ، وإذا فلا يكون كل
خضوع وتذلل لغير الله شركا بالله تعالى .
ثانيها : الخضوع للمخلوق باعتقاد أن له إضافة خاصة إلى الله يستحق من
أجلها أن يخضع له ، مع أن العقيدة باطلة ، وأن هذا الخضوع بغير إذن من الله
كما في خضوع أهل الاديان والمذاهب الفاسدة لرؤسائهم . ولا ريب في أنه
/ صفحة ٤٦٩ /
إدخال في الدين لما لم يكن منه ، فهو تشريع محرم بالادلة الاربعة ، وافتراء على
الله تعالى .
" فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ١٨ : ١٥ " .
ثالثها : الخضوع للمخلوق والتذلل له بأمر من الله وإرشاده ، كما في الخضوع
للنبي صلى الله عليه واله وسلم ولاوصيائه الطاهرين عليهم السلام بل الخضوع لكل مؤمن ، أو كل
ما له إضافة إلى الله توجب له المنزلة والحرمة ، كالمسجد والقرآن والحجر الاسود
وما سواها من الشعائر الالهية . وهذا القسم من الخضوع محبوب لله فقد قال تعالى :
" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة عل يالمؤمنين
أعزة على الكافرين ٥ : ٤٥ " .
بل هو لدى الحقيقة خضوع لله ، وإظهار للعبودية له فمن اعتقد بالواحدانية
الخالصة لله ، واعتقد أن الاحياء والاماتة والخلق والرزق والقبض والبسط
والمغفرة والعقوبة كلها بيده ، ثم اعتقد بأن النبي صلى الله عليه واله وسلم وأوصياءه الكرام
عليهم السلام :
" عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون
٢١ : ٢٧ " .
وتوسل بهم إلى الله ، وجعلهم شفعاء اليه بإذنه ، تجليلا لشأنهم وتعظيما
لمقامهم ، لم يخرج بذلك عن حد الايمان ، ولم يعبد غير الله .
ولقد علم كل مسلم أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يقبل الحجر الاسود ، ويستلمه

بيده إجلالا لشأنه وتعظيما لامره . وكان صلى الله عليه واله وسلم يزور قبور المؤمنين والشهداء
والصالحين ، ويسلم عليهم ، ويدعو لهم .
/ صفحة ٤٧٠ /

وعلى هذا جرت الصحابة والتابعون خلفا عن سلف ، فكانوا يزورون قبر
النبي صلى الله عليه واله وسلم ويتبركون به ويقبلونه ، ويستشفعون برسول الله ، كما كانوا
يستشفعون
به في حياته . وهكذا كانوا يفعلون مع قبور أئمة الدين وأولياء الله الصالحين ،
ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة ، ولا أحد من التابعين أو الاعلام ، إلى أن
ظهر أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني فحرم شد
الرحال إلى زيارة القبور ، وتقبيلها ، ومسها ، والاستشفاع بمن دفن فيها ، حتى
أنه شدد النكير على من زار قبر النبي صلى الله عليه واله وسلم أن تبرك به بتقبيل أو لمس ،
وجعل
ذلك من الشرك الاصغر تارة ومن الشرك الاكبر أخرى .
ولما رأى علماء عصره عامة أنه قد خالف في رأيه هذا ما ثبت من الدين ،
وضرورة المسلمين ، لانهم قد رووا عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حثه على زيارة المؤمنين
عامة وعلى زيارته خاصة بقوله صلى الله عليه واله وسلم : " من زارني بعد مماتي كان كمن زارني
في
حياتي " وما يؤدي هذا المعنى بألفاظ أخر (١) تبرأوا منه ، وحكموا بضلاله ،
وأوجبوا عليه التوبة ، فأمروا بحبسه إما مطلقا أو على تقدير أن لا يتوب .
والذي أوقع ابن تيمية في الغلط – إن لم يكن عامدا لتفريق كلمة المسلمين –
وهو تخيله أن الامور المذكورة شرك بالله ، وعبادة لغيره . ولم يدرك أن هؤلاء
الذين يأتون بهذه الاعمال يعتقدون توحيد الله ، وأنه لا خالق ولا رازق سواه ،
وأن له الخلق والامر ، وإنما يقصدون بأفعالهم هذه تعظيم شعائر الله ، وقد
علمت أنها راجعة إلى تعظيم الله والخضوع له والتقرب اليه سبحانه ، والخلوص
لوجهه الكريم ، وأنه ليس في ذلك أدنى شائبة للشرك ، لان الشرك – كما

عرفت – أن يعبد الانسان غير الله . والعبادة إنما تتحقق بالخضوع لشئ على
أنه رب يعبد ، وأين هذا من تعظيم النبي الاكرم وأوصيائه الطاهرين – ع – بما
* (هامش) * (١) انظر التعليقة رقم (١٧) للوقوف على الروايات التي استفاضت في جواز
زيارة القبور ،
وقد ذكر جملة منها عبد السلام بن تيمية – في قسم التعليقات . (*)

/ صفحة ٤٧١ /

هو نبي وهم أوصياء ، وبما أنهم عباد مكرمون ، ولا ريب في أن المسلم لا يعبد النبي أو الوصي فضلا عن أن يعبد قبورهم .

وصفوة القول : أن التقبيل والزيارة وما يضاهيهما من وجوه التعظيم لا تكون شركا بأي وجه من الوجوه ، وبأي داع من الدواعي ، ولو كان كذلك لكان تعظيم الحي من الشرك أيضا ، إذ لا فرق بينه وبين الميت من هذه الجهة – ولا يلتزم ابن تيمية وأتباعه بهذا – وللزم نسبة الشرك إلى الرسول الاعظم صلى الله عليه واله وسلم وحاشاه فقد كان يزور القبور ، ويسلم على أهلها ، ويقبل الحجر الاسود كما سبق

وعلى هذا فيدور الامر بين الحكم بأن بعض الشرك جائز لا محذور فيه ، وبين أن يكون التقبيل والتعظيم – لا بعنوان العبودية – خارجا عن الشرك وحدوده ، وحيث أنه لا مجال للاول لظهور بطلانه فلا بد وأن يكون الحق هو الثاني ، فإذا تكون الامور المذكورة داخلة في عبادة الله وتعظيمه :

" ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقول القلوب ٢٢ : ٣٢ " .

وقد مرت الروايات الدالة على استحباب زيارة قبر النبي وأولياء الله الصالحين .

السجود لغير الله :

لقد اتضح مما قدمنا أن الخضوع لاي مخلوق إذا نهي عنه في الشريعة لم يجز فعله ، وإن لم يكن على نحو التأله ، ومن هذا القبيل السجود لغير الله ، فقد أجمع المسلمون على حرمة السجود لغير الله ، قال عز من قائل :

" لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ٤١ : ٣٧ " .

فإن المستفاد منه أن السجود مما يختص بالخالق ، ولا يجوز للمخلوق

وقال تعالى :

/ صفحة ٤٧٢ /

" وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ٧٢ : ١٨ " .

ودلالة هذه الاية الكريمة على المقصود مبنية على أن المراد بالمساجد المساجد السبعة ، وهي الاعضاء التي يضعها الانسان على الارض في سجوده وهذا هو الظاهر ، ويدل عليه المأثور (١) وكيف كان فلا ريب في هذا الحكم وأنه لا يجوز

السجود لنبي أو وصي فضلا عن غيرهما .
وأما ما ينسب إلى الشيعة الامامية من أنهم يسجدون لقبور أئمتهم ، فهو بهتان محض ، ولسوف يجمع الله بينهم وبين من افترى عليهم وهو أحكم الحاكمين ولقد أفرط بعضهم في الفرية ، فنسب إليهم ما هو أدهى وأمض ، وادعى أنهم يأخذون التراب من قبور أئمتهم ، فيسجدون له سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم (٢) وهذه كتب الشيعة : قديما وحديثها مطبوعها ومخطوطها ، وهي منتشرة في أرجاء العالم متفقة على تحريم السجود لغير الله ، فمن نسب إليهم جواز السجود للتربة فهو إما مفتر يتعمد البهت عليهم ، وإما غافل لا يفرق بين السجود لشئ والسجود عليه .
والشيعة يعتبرون في سجود الصلاة أن يكون على أجزاء الارض الاصلية : من حجر أو مدر أر رمل أو تراب ، أو على نبات الارض غير المأكول والملبوس ويرون أن السجود على التراب أفضل من السجود على غيره ، كما أن السجود على التربة الحسينية أفضل من السجود على غيرها . وفي كل ذلك اتبعوا أئمة مذهبهم الاوصياء المعصومين (٣) ومع ذلك كيف تصح نسبة الشرك اليهم وأنهم يسجدون لغير الله (٤) .
* (هامش) * (١) راجع الوسائل باب حد القطع من أبواب حد السرقة ج ٣ ص ٤٤٨ .
(٢) انظر التعليقة رقم (١٨) للوقوف على التهمة التي ألصقها الالوسي بالشيعة في صيامهم – في قسم التعليقات .
(٣) راجع الوسائل باب ١٦٢ من أبواب ما يسجد عليه ص ٢٣٦ .
(٤) انظر التعليقة رقم (١٩) بشأن حوار جرى بين المؤلف وأحد علماء الحجاز حول التربة الحسينية – في قسم التعليقات . (*)
/ صفحة ٤٧٣ /

(٣٢٠/١)

والتربة الحسينية ليست إلا جزء من أرض الله الواسعة التي جعلها لنبيه مسجدا وطهورا (١) ولكنها تربة ما أشرفها وأعظمها قدرا ، حيث تضمنت ريحانة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وسيد شباب أهل الجنة من فدى بنفسه ونفيسه ونفوس عشيرته وأصحابه في سبيل الدين وإحياء كلمة سيد المرسلين . وقد وردت من الطريقين في فضل هذه التربة عدة روايات عن رسول الله (٢) وهب أنه لم يرد

عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولا عن أوصيائه ما يدل على فضل هذه التربة ، أفليس من الحق أن يلازم المسلم هذه التربة ، ويسجد عليها في مواقع السجود ؟ فإن في السجود عليها – بعد كونها مما يصح السجود عليه في نفسه – رمزا وإشارة إلى أن ملازمها على منهاج صاحبها الذي قتل في سبيل الدين وإصلاح المسلمين .

آراء حول السجود لادم :

بقي الكلام في سجود الملائكة لادم ، وكيف جاز ذلك ؟ مع أن السجود لا يجوز لغير الله ، وقد أجاب العلماء عن ذلك بوجوه :

الرأي الاول :

إن سجود الملائكة هنا بمعنى الخضوع ، وليس بمعنى السجود المعهود .

ويرده : أن ذلك خلاف الظاهر من اللفظ ، فلا يصار اليه من غير قرينة ، وأن الروايات قد دلت على أن ابن آدم إذا سجد لربه ضجر إبليس وبكى ، وهي دالة على أن سجود الملائكة الذي أمرهم الله به ، واستكبر عنه إبليس كان بهذا المعنى المعهود ، ولذلك يضجر إبليس ويبكي من إطاعة ابن آدم للامر وعصيانه هو من قبل .

* (هامش) * (١) راجع سنن البيهقي باب التيمم بالصعيد الطيب ج ١ ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) راجع الوسائل باب استحباب السجود على تربة الحسين – ع – ١ ص ٢٣٦ ، انظر التعليقة رقم (٢٠) بشأن فضيلة تربة الحسين – ع – في قسم التعليقات . (*)

/ صفحة ٤٧٤ /

الرأي الثاني :

إن سجود الملائكة كان لله ، وإنما كان آدم قبلة لهم ، كما يقال : صلى للقبلة أي اليها . وقد أمرهم الله بالتوجه إلى آدم في سجودهم تكريما له وتعظيما لشأنه .

ويرده : أنه تأويل ينافيه ظاهر الايات والروايات ، بل ينافيه صريح الاية المباركة . فإن إبليس إنما أبى عن السجود بادعاء أنه أشرف من آدم ، فلو كان السجود لله ، وكان آدم قبلة له لما كان لقوله :

" ءأسجد لمن خلقت طينا ١٧ : ٦١ " .

معنى لجواز أن يكون الساجد أشرف مما يستقبله .

الرأي الثالث :

إن السجود لادم حيث كان بأمر من الله تعالى فهو في الحقيقة خضوع لله وسجود له .

وبيان ذلك : أن السجود هو الغاية القصوى للتذلل والخضوع ، ولذلك قد خصه الله بنفسه ، ولم يرخص عباده أن يسجدوا لغيره ، وإن لم يكن السجود بعنوان العبودية من الساجد ، والربوبية للمسجود له . غير أن السجود لغير الله إذا كان بأمر من الله كان في الحقيقة عبادة له وتقربا اليه ، لانه امتثال لامره ، وانقياد لحكمه ، وإن كان في الصورة تذللا للمخلوق . ومن أجل ذلك يصح عقاب المتمرد عن هذا الامر ، ولا يسمع اعتذاره بأنه لا يتذلل للمخلوق ، ولا يخضع لغير الامر (١) .

وهذا هو الوجه الصحيح : فإن العبد يجب أن لا يرى لنفسه استقلالا في

* (هامش) * (١) انظر التعليقة رقم (٢١) بشأن تأويل آية السجود من قبل بعض أصحاب الكشف –

في قسم التعليقات . (*)

/ صفحة ٤٧٥ /

اموره ، بل يطيع مولاه من حيث يهوى ويشتهي . فإذا أمره بالخضوع لاحد وجب عليه أن يمتثله ، وكان خضوعه حينئذ خضوعا لمولاه الذي أمره به (١) .

ونتيجة ما قدمناه :

أنه لا بد في كل عمل يتقرب به العبد إلى ربه من أن يكون مأمورا به من قبله بدليل خاص أو عام . وإذا شك في أن ذلك العمل مأمور به كان التقرب به تشريعا محرما بالادلة الاربعة . نعم إن زيارة القبور وتقبيلها وتعظيمها مما ثبت بالعمومات ، وبالروايات الخاصة من طرق أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم النبي صلى الله عليه واله وسلم قرناء للكتاب في قوله : " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي

أهل بيتي " (٢) . وتؤكد جوازها أيضا سيرة المسلمين وجريهم عليها من السلف والخلف ، وما قدمناه من الروايات عن طرق أهل السنة .

كيف يتحقق الشرك بالله ؟

تنبيه : إذا نهي عن خضوع خاص لغير الله كالسجود ، أو عن عبادة خاصة

كصوم العيدين ، وصلاة الحائض ، والحج في غير الاشهر الحرم كان الاتي به مرتكبا للحرام ومستحقا للعقاب ، إلا أنه لا يكون بذلك الفعل مشركا ولا كافرا ، فليس كل فعل محرم يقتضي شرك مرتكبه أو كفره .

وقد عرفت أن الشرك إنما هو الخضوع لغير الله بما أن الخاضع عبد والمخضوع له رب ، فمن تعمد السجود لغير الله بغير قصد العبودية لم يخرج بعمله هذا المحرم عن زمرة المسلمين ، فإن الاسلام يدور مدار الاقرار بالشهادتين ، وبذلك يحرم ماله ودمه .

* (هامش) * (١) انظر التعليقة رقم (٢٢) لمعرفة ما قاله تعالى لابليس في ترك السجود – في قسم التعليقات .

(٢) تقدم بعض مصادر الحديث في الصفحة ١٨ ، ٣٩٨ من هذا الكتاب . (*) / صفحة ٤٧٦ /

والروايات الدالة على هذا متواترة من الطريقين (١) ، ومع ذلك كيف يجوز الحكم بشرك من زار قبر النبي صلى الله عليه واله وسلم وأوصياءه – ع – متقربا إلى الله وهو يشهد الشهادتين :

" ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ٤ : ٩٤ " .

ولسوف يحكم الله بين عباده بالحق وهو أحكم الحاكمين .

دواعي العبادة :

العبادة فعل اختياري ، فلا بد لها من باعث نفساني يبعث نحوها ، وهو أحد امور :

١ – أن يكون الداعي لعبادة الله هو طمع الانسان في إنعامه ، وبما يجزيه عليها من الاجر والثواب ، حسبما وعده في كتابه الكريم :

" ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ٤ : ١٣ . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ٥ : ٩ " .

٢ – أن يكون الداعي للعبادة هو الخوف من العقاب على المخالفة :

" إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ١٠ : ١٥ .

إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ٧٦ : ١٠ " .
وقد أشير إلى كلا الامرين في عدة من الايات الكريمة :
* (هامش) * (١) انظر التعليقة رقم (٢٣) لمعرفة ان الاسلام يدور مدار الشهادتين – في قسم التعليقات . (*)
/ صفحة ٤٧٧ /
" تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا
وطمعا ٣٢ : ١٦ . وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب
من المحسنين ٧ : ٥٦ . يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه ١٧ : ٥٧ " .
٣ – أن يعبد الله بما أنه أهل لان يعبد ، فإن الكامل بالذات والجامع لصفات الجمال والجلال . وهذا القسم من العبادة لا يتحقق إلا ممن اندكت نفسيته فلم ير لذاته إنية إزاء خالقه ، ليقصد بها خيرا ، أو يحذر لها من عقوبة ، وإنما ينظر إلى صانعه وموجده ولا يتوجه إلا اليه ، وهذه مرتبة لا يسعنا التصديق ببلوغها لغير المعصومين – ع – الذين أخلصوا لله أنفسهم فهم المخلصون الذين لا يستطيع الشيطان أن يقترب من أحدهم :
" ولاغوينهم أجمعين ١٥ : ٣٩ . إلا عبادك منهم
المخلصين : ٤٠ " .
قال أمير المؤمنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه : " ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا في جنتك ، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك " (١) ، وأما سائر العباد فتنحصر عبادتهم في أحد القسمين الاولين ، ولا يسعهم تحصيل هذه الغاية . وبذلك يظهر بطلان قول من أبطل العبادة إذا كانت ناشئة عن العطمع أو الخوف ، واعتبر في صحة العبادة أن تكون لله ما هو أهل للعبادة ووجه بطلان هذا القول : أن عامة البشر غير المعصومين لا يتمكنون من ذلك فكيف يمكن تكليفهم به ! وهل هو إلا تكليف بما لا يطاق ؟ !
* (هامش) * (١) مرآة العقول باب النية ج ٢ ص ١٠١ . (*)
/ صفحة ٤٧٨ /
أضف إلى ذلك أن الايتين الكريمتين المتقدمتين قد دلتا على صحة العبادة إذا صدرت عن خوف أو طمع . فقد مدح الله سبحانه من يدعوه خوفا أو طمعا

وذلك يقتضي محبوبية هذا العمل وأنه مما أمر به الله تعالى وأنه يكفي في مقام الامتثال . وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام ما يدل على صحة العبادة إذا كانت ناشئة من خوف أو طمع (١) .

وقد أوضحنا – فيما تقدم – أن الايات السابقة من هذه السورة قد حصرت الحمد في الله تعالى من جهة كماله الذاتي ، ومن جهة ربوبيته ورحمته ، ومن جهة سلطانه وقدرته ، فتكون فيها إشارة إلى منا شئ العبادة ودواعيها أيضا ، فالعبادة إما ناشئة من إدراك العابد كمال المعبود واستحقاقه العبادة بذاته وهي عبادة الاحرار ، وإما من إدراكه إنعام المعبود وإحسانه وطمعه في ذلك وهي عبادة الاجراء ، وإما من إدراكه سطوته وقهره وعقابه وهي عبادة العبيد .

حصر الاستعانة بالله :

لا مانع من استعانة الانسان في مقاصده بغير الله من المخلوقات أو الافعال قال الله تعالى :

" واستعينوا بالصبر والصلاة ٢ : ٤٥ . وتعاونوا على البر والتقوى ٥ : ٢ . قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة ١٨ : ٩٥ " .

وإذن فليست الاستعانة بمطلقها تنحصر بالله سبحانه بل المراد منها استعداد القدرة على العبادة منه تعالى ، والاستزادة من توفيقه لها حتى تتم وتخلص

* (هامش) * (١) انظر التعليقة رقم (٢٤) للوقوف على أقسام الدوافع للعبادة – في قسم التعليقات . (*)

/ صفحة ٤٧٩ /

والغرض من ذلك اثبات أن العبد في أفعاله الاختيارية وسط بين الجبر والتفويض فان الفعل يصدر عن العبد بإختياره ، ولذلك أسند الفعل اليه في قوله تعالى : " إياك نعبد " إلا أن هذا الفعل الاختياري من العبد إنما يكون بعون الله له وبإمداده إياه بالقدرة آنا فآنا : " عطاء غير مجذوذ " بحيث لو انقطع المدد عنه في آن لم يستطع إتمام الفعل ، ولم تصدر منه عبادة ولا حسنة .

وهذا هو القول الذي يقتضيه محض الايمان ، فان الجبر يلزمه أن يكون العقاب على المعاصي عقابا للعبد من غير استحقاق ، وهذا ظلم بين :

" سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ١٧ : ٤٣ " .

وإن التفويض يلزمه القول بخالق غير الله فان معناه أن العبد مستقل في أفعاله ، وأنه خالق لها ، ومرجع هذا إلى تعدد الخالق وهو شرك بالله العظيم والايمان الحق بالله هو الحد الوسط بين الافراط والتفريط ، فالفعل فعل العبد وهو فاعله باختياره ، ولذلك استحق عليه الثواب أو العقاب ، والله سبحانه هو الذي يفيض على العبد الحياة والقدرة وغيرهما من مبادئ الفعل إفاضة مستمرة غير منقطعة ، فلا استقلال للعبد ، ولا تصرف له في سلطان المولى ، وقد أوضحنا هذا في بحثنا عن إعجاز القرآن (١) .

هذه هي الاستعانة المنحصرة بالله تعالى ، فلولا الافاضة الالهية لما وجد فعل من الافعال ولو تظاهرت الجن والانس على إيجاده ، فإن الممكن غير مستقل في وجوده ، فيستحيل أن يكون مستقلا في إيجاده ، وبما ذكرناه يظهر الوجه في تأخير جملة : " إياك نستعين " عن قوله : " إياك نعبد " فإنه تعالى حصر العبادة بذاته أولا ، فالمؤمنون لا يعبدون إلا الله ، ثم أبان لهم أن عباداتهم إنما تصدر

* (هامش) * (١) في الصفحة ٣٣ من هذا الكتاب . (*)

/ صفحة ٤٨٠ /

عنهم بعون الله وإقداره ، فالعبد رهين إفاضة الله ومشيئته ، والله أولى بحسنات العبد من نفسه ، كما أن العبد أولى بسيآته من الله (١) .

الشفاعة :

تدل الايات المباركة على أن الله سبحانه هو الكافل بامور عبيده ، وأنه الذي بيده الامر ، يدبر شؤون عبده ويوجهه إلى كماله برحمته ، وهو قريب منه ، يسمع نداءه ويجيب دعاءه :

" أليس الله بكاف عبده ٣٩ : ٣٦ . وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ٢ : ١٨٦ " .

وعلى هذا فليس لمخلوق أن يستشفع بمخلوق مثله ، ويجعله واسطة بينه وبين ربه ، ففي ذلك تبعيد للمسافة ، بل وفيه إظهار للحاجة إلى غير الله وماذا

يصنع محتاج بمحتاج مثله ؟ وماذا ينتفع العاصي بشفاعة من لا ولاية له ولا سلطان ؟ بل :

" لله الامر من قبل ومن بعد ٣٠ : ٤ . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والارض ٣٩ : ٤٤ " .

هذا كله إذا لم تكن الشفاعة بإذن من الله سبحانه ، وأما إذا أذن الله بالشفاعة لاحد فإن الاستشفاع به يكون نحوا من الخضوع لله والتعبد له ، ويستفاد من القرآن الكريم أن الله تعالى قد أذن لبعض عباده بالشفاعة ، إلا أنه لم ينوه بذكرهم عدا الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم ، فقد قال الله تعالى :

* (هامش) * (١) انظر رقم (٢٥) للوقوف على الامر بين الامريين في كسب الحسنات وارتكاب السيئات – في قسم التعليقات . (*)

" ولا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ١٩ : ٨٧ . يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ٢٠ : ١٠٩ . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ٣٤ : ٢٣ .

ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ٤ : ٦٤ " .

والروايات الواردة عن النبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم وعن أوصيائه الكرام – ع – في هذا الموضوع متواترة .

أحاديث الشفاعة عند الامامية :

أما الروايات من طريق الشيعة الامامية فهي أكثر من أن تحصى ، وأمر الشفاعة عندهم أوضح من أن يخفى ، ونكتفي بذكر رواية واحدة منها :

روى البرقي في المحاسن بإسناده عن معاوية بن وهب ، قال : " سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى :

" لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ٧٨ : ٣٨ " .

قال : نحن والله المأذون لهم في ذلك ، والقائلون صوابا ، قلت : جعلت فداك وما تقولون إذا كلمتم ؟ قال نمجد ربنا ، ونصلي على نبينا ، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا " . وروى محمد بن يعقوب في الكافي بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام مثله " (١) .

* (هامش) * (١) البحار باب الشفاعة] ٣ ص ٣٠١ . (*)
(البيان – ٣١)
/ صفحة ٤٨٢ /
أحاديث الشفاعة عند العامة :
وأما الروايات من طرق أهل السنة فهي أيضا كثيرة متواترة (١) نتعرض لذكر بعضها :
١ – روى يزيد الفقير ، قال : أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا . . وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة . . " (٢) .
٢ – روى أنس بن مالك ، قال : " قال النبي صلى الله عليه واله وسلم أنا أول شفيع في الجنة " (٢) .
٣ – روى أبو هريرة قال : " قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لكل نبي دعوة وأردت إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة " (٤) .
٤ – وروى أيضا قال : " قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أنا سيد ولد آدم عليه السلام يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع " (٥) .
٥ – وروى أيضا ، قال : " قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الشفعاء خمسة : القرآن ، والرحم ، والامانة ، ونبيكم ، وأهل بيته " (٦) .
* (هامش) * (١) في المجلد السابع من كنز العمال ص ٢١٥ ، ٢٧٠ من هذه الروايات ما يزيد على
ثمانين رواية .
(٢) صحيح البخاري كتاب التيمم باب ١ ج ١ ص ٨٦ .
(٣) صحيح مسلم باب أن النبي أول من يشفع في الجنة ج ١ ص ١٣٠ .
(٤) انظر التعليقة رقم (٢٦) لاستقصاء مصادر هذه الرواية – في قسم التعليقات .
(٥) صحيح مسلم باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق ج ٧ ص ٥٩ .
(٦) كنز العمال : الشفاعة ج ٧ ص ٢١٤ . (*)
/ صفحة ٤٨٣ /

٦ – روى عبد الله بن أبي الجدعاء قال : " قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم " ورواه الترمذي والحاكم (١) .

(٣٢٨/١)

ومن هذه الروايات يستكشف أن الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه واله وسلم وبأهل بيته الكرام – ع – أمر ندب اليه الشرع ، فكيف يعد ذلك من الشرك ؟ عصمنا الله من متابعة الهوى وزلل الاقدام والاقلام .

* (هامش) * (١) نفس المصدر السابق ص ٢١٥ . (*)

/ صفحة ٤٨٤ /

(٤)

تحليل آية

اهدنا الصراط المستقيم – ٦ . صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين – ٧ .

القراءة

المعروف قراءة غير بالجر ، ونقل الزمخشري أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعمر قرءا بالنصب ، والصحيح هو الاول ، فإن قراءة النصب عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لم تثبت وكذلك لم تثبت عن عمر ، على أنها لو ثبتت عنه فهي ليست بحجة ، فقد أوضحنا أن قراءة غير المعصوم إنما يعبأ بها إذا كانت من القراءات المشهورة ، وإلا فهي شاذة لا تجزي للامتثال .

والمعروف أيضا قراءة " الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ونسب إلى علي عليه السلام وإلى عمر قراءة " من أنعمت عليهم وغير الضالين " أما قراءة علي عليه السلام بذلك فلم تثبت ، بل الثابت عدمها ، فلو كانت قراءته هي ذلك ، لشاع خبرها بين شيعته ، ولاقرها الائمة من بعده ، مع أنها

/ صفحة ٤٨٥ /

لم تنقل حتى بخبر رجل واحد يعتمد عليه ، ومثل هذا يقال في نسبة قراءة " غير " بالنصب إلى الرسول صلى الله عليه واله وسلم وأما قراءة عمر فقد عرفت الحال فيها .

اللغة

الهداية :

الارشاد والدلالة ، والهدى ضد الضلال ، وستقف على بيان هداية الله الناس

وإرشادهم .

الصراط :

الطريق وهو ما يتوصل بالسير فيه إلى المقصود ، وقد يكون غير حسي

فيقال : الاحتياط طريق النجاة ، وإطاعة الله طريق الجنة ، وإطلاقه على الطريق

غير الحسي إما لعموم المعنى اللغوي وإما من باب التشبيه والاستعارة

الاستقامة :

الاعتدال ، وهو ضد الانحراف إلى اليمين أو الشمال ، و " الصراط المستقيم "

هو الصراط الذي يصل بسالكه إلى النعيم الابدي ، وإلى رضوان الله ، وهو أن

يطبع المخلوق خالقه ، ولا يعصيه في شئ من أوامره ونواهيه ، وأن لا يعبد

غيره ، وهو الصراط الذي لا عوج فيه ، قال الله تعالى :

" وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ٤٢ : ٥٢ . صراط

الله الذي له ما في السماوات وما في الارض : ٥٣ . وهذا

صراط ربك مستقيما ٦ : ١٢٦ . إن الله ربي وربكم فاعبدوه

هذا صراط مستقيم ٣ : ٥١ . وأن اعبدوني هذا صراط

/ صفحة ٤٨٦ /

مستقيم ٣٦ : ٦١ . وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم

تذكرون ٦ : ١٥٢ . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا

تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ١٥٣ " . وبما أن عبادة الله لا تنحصر في نوع معين ، بل تعم أفعال الجانحة وأفعال

الجارحة على كثرتها فقد يلاحظ المعنى العام الشامل لهذه الافعال كلها ، فيعبر عنه

باللفظ المفرد كالصراط المستقيم ، والصراط السوي ، وقد تلاحظ الانواع على

كثرتها من الايمان بالله وبرسوله وبالمعاد ، ومن الصلاة والصيام والحج وما سوى

ذلك ، فيعبر عنها بالجمع .

" قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ٥ : ١٥ . يهدي

به الله من اتبع رضوانه سبل السلام : ١٦ . وما لنا أن

لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ١٤ : ١٢ . والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ٢٩ : ٦٩ " .

الانعام :

الافضال بالنعمة وزيادتها ، ومن أنعم الله عليهم هم الذين سلكوا " الصراط المستقيم " ولم يمل بهم الهوى إلى طاعة الشيطان ، ولذلك قد فازوا بالحياة الدائمة والسعادة الابدية ، وفوق ذلك كله فازوا برضوان من الله :

" وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ٩ : ٧٣ " .

/ صفحة ٤٨٧ /

الغضب :

السخط ، وتقابله الرحمة ، والمغضوب عليهم هم الذين توغلوا في الكفر وعندوا عن الحق ، ونبذوا آيات الله وراء ظهورهم ، ولا يراد به مطلق الكافر :

" ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من
الله ولهم عذاب عظيم ١٦ : ١٠٦ " .

الضلال :

التيه ويقابله الهدى ، والضالون هم الذين سلكوا غير طريق الهدى فأفضى بهم إلى الهلاك الابدي والعذاب الدائم ، ولكنهم دون المغضوب عليهم في شدة الكفر ، لانهم وإن ضلوا الطريق المستقيم عن تقصير في البحث والفحص ، إلا أنهم لم يعاندوا الحق بعد وضوحه ، وقد ورد في المأثور أن المغضوب عليهم هم اليهود ، والضالين هم النصارى . وقد تقدم (١) أن الايات القرآنية لا تختص بمورد ، وأن كل ما يذكر لها من المعاني فهو من باب تطبيق الكبرى .

الاعراب

" غير المغضوب عليهم " : بدل من جملة " الذين أنعمت عليهم " أو صفة للذين وذلك : أن نعمة الله كرحمته قد وسعت جميع البشر ، فمنهم من شكر ، ومنهم من كفر :

" ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في
الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من

* (هامش) * (١) الصفحة ٢٥ من هذا الكتاب . (*)

/ صفحة ٤٨٨ /

يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ٣١ : ٣٠ " .

وإذا ففي توصيف من أنعم الله عليهم بأنهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين تقييد لا طلاقه ، وتضييق لسعته ، فلا يشمل هؤلاء الذين لم يؤدوا شكرالنعمة ، ويكون مدلول الآية أن العبد يطلب من الله الهداية إلى طريق سلكه فريق خاص من الذين أنعم الله عليهم وهم الذين لم يبدلوا نعمة الله كفرا ، فحازوا بإطاعتهم واستقامتهم نعمة الآخرة كما كانوا حائزين نعمة الدنيا ، فاتصلت لهم السعادة في الدنيا والعقبى ، ونظير الآية المباركة أن يقال : يجوز اقتناء كل كتاب غير كتب الضلال ، وعلى ذلك فلا موقع لقول بعضهم : إن كلمة غير متوغلة في الابهام ولا تعرف بهما تضاف اليه فلا يصح جعلها صفة للمعرفة ولا لما ذكروه جوابا عن ذلك .

وخلاصة القول : أن الحكم المذكور في القضية – خبرية كانت أو إنشائية –

(٣٣١/١)

إذا كان عاما لجميع الافراد ، فإنه يصح تخصيصه متى أريد ذلك – بكلمة غير ، كما يصح تخصيصه بغيرها ، فتقول : جاءني جميع أهل البلد ، أو أكرم جميعهم غير الفاسقين .

" الضالين " : عطف على المغضوب عليهم : وأتي بكلمة " لا " تأكيدا للنفي لئلا يتوهم السامع أن المنفي هو المجموع ، وكلمة " غير " تدل على النفي التزاما فاجري عليها حكم غيرها من دوال النفي . تقول : جالس رجلا غير فاسق ولا سئ الخلق ، أعبد الله بغير كسل ولا ملل ، وتوهم بعض مقاربي عصرنا عدم جواز ذلك فأتعب نفسه في توجيه الآية المباركة ولم يأت بشئ ، واعترف بعجزه عن الجواب .

التفسير

وبعد أن لقن الله عبيده أن يعترفوا بين يديه بالتوحيد في العبادة والاستعانة

/ صفحة ٤٨٩ /

لقنهم أن يطلبوا منه الهداية إلى الصراط المستقيم . وقد اشتملت هذه السورة الكريمة في بداءتها على تمجيد الله سبحانه ، والثناء عليه بما هو أهله واشتملت في نهايتها على سؤال الهداية منه . وبين تلك البداءة وهذه الخاتمة أنزل الله تعالى

قوله : " إياك نعبد وإياك نستعين " فهو نتيجة للتمجيد السابق وتوطئة للسؤال اللاحق ، فإن في التمجيد السابق ملاك حصر العبادة والاستعانة به تعالى فالمستحق للعبادة إنما هو الله بذاته وبرحمته وسلطانه ، وغيره لا يستحق أن يعبد أو يستعان به .

وإذا كانت العبادة والاستعانة منحصرتين بالله سبحانه فلا مناص للعبد من أن يدعو ربه الذي حصر عبادته واستعانته به . ومن هنا ورد عن الطريقين " أن الله تبارك وتعالى قد جعل هذه السورة نصفين : نصف له ونصف لعبده ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، يقول الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال : إهدنا الصراط المستقيم ، قال الله تعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " (١) .

ثم إنك عرفت أن الطرق التي يسلكها البشر في أعمالهم وإيمانهم ثلاثة :

أحدها : الطريق الذي مهده الله لعباده ، يسلكه من هداه الله إليه بفضله وإحسانه .

ثانيها : الطريق الذي يسلكه الضالون .

ثالثها : الطريق الذي يسلكه المغضوب عليهم . وقد بين الله سبحانه مغايرة الطريق المستقيم للطريقين الآخرين ببيان أن سالكي هذا الطريق غير سالكي ذينك الطريقين . وبذلك بين أن من اجتنب الطريق المستقيم فلا مناص له من الخذلان ، إما بضلاله فحسب وإما بضلاله مع استحقاقه الغضب الالهي . أعاذنا الله من الخذلان وهدانا إلى صراط المستقيم .

* (هامش) * (١) عيون أخبار الرضا – باب ما جاء عن الرضا من الاخبار المتفرقة ص ١٦٦ ، طبعة إيران سنة ١٣١٧ هـ . وتقدم نظير هذا عن أبي هريرة في الصفحة ٤٤٦ من هذا الكتاب . (*)

/ صفحة ٤٩٠ /

/ صفحة ٤٩١ /

البحث الثالث

حول آية اهدنا

/ صفحة ٤٩٢ /

الهداية بمعنى الاستمرار . الهداية بمعنى الثواب .

الهداية بمعنى الاستزادة منها

/ صفحة ٤٩٣ /

ذكر المفسرون : أن من يطلب الهداية من الله لا بد وأن يكون فاقدا لها ، فكيف يطلبها المسلم الواحد في صلاته ، وأجابوا عنه بوجوه :

١ – أن يراد بالهداية : الاستمرار عليها ، فبعد ما من الله تعالى على المصلي بهدايته إلى الايمان يطلب منه الاستمرار والثبات على هذه النعمة لئلا تزل له قدم بعد ثبوتها .

٢ – أن يراد بالهداية : الثواب فمعناه إهدنا طريق الجنة ثوابا لنا .

٣ – أن يراد بالهداية : زيادتها فإن الهداية قابلة للزيادة والنقصان ، فمن كان واجدا لمرتبة منها جاز أن يطلب مرتبة أكمل منها .

وكل هذه الوجوه استحسانية تخالف ما يقتضيه ظاهر الآية المباركة

والصحيح أن يقال : إن الهداية التي يطلبها المسلم في صلاته هي هداية غير حاصلة له ، وإنما يطلب حصولها من ربه فضلا منه ورحمة .

وتوضيح ذلك : أن الهداية من الله تعالى على قسمين : هداية عامة وهداية خاصة ، والهداية العامة قد تكون تكوينية ، وقد تكون تشريعية ، أما الهداية العامة التكوينية فهي التي أعدها الله تعالى في طبيعة كل موجود سواء أكان جمادا

أم كان نباتا أو حيوانا ، فهي تسري بطبعها أو باختيارها نحو كمالها ، والله هو الذي أودع فيها قوة الاستكمال ، ألا ترى كيف يهتدي النبات إلى نموه ، فيسير إلى جهة لا صاد له عن سيره فيها ، وكيف يهتدي الحيوان فيميز بين من يؤذيه

/ صفحة ٤٩٤ /

ومن لا يؤذيه ؟ فالفأرة تفر من الهرة ، ولا تفر من الشاة ، وكيف يهتدي النمل والنحل إلى تشكيل جمعية وحكومة وبناء مساكن ! وكيف يهتدي الطفل إلى ثدي أمه ، ويرتضع منه في بدء ولادته :

" قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ٢٠ : ٥٠ " .

وأما الهداية العامة التشريعية فهي الهداية التي بها هدى الله جميع البشر بإرسال الرسل اليهم وإنزال الكتب عليهم ، فقد أتم الحجة على الانسان بافاضته عليه العقل وتمييز الحق من الباطل ، ثم بإرساله رسلا يتلون عليهم آياته ، ويبينون

لهم شرائع أحكامه ، وقرن رسالتهم بما يدل على صدقها من معجز باهر ، وبرهان قاهر ، فمن الناس من اهتدى ، ومنهم من حق عليه الضلالة :

" أنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ٧٦ : ٣ " .

وأما الهداية الخاصة ، فهي هداية تكوينية ، وعناية ربانية خص الله بها بعض عباده حسب ما تقتضيه حكمته ، فيهيئ له ما به يهتدي إلى كماله ويصل إلى مقصوده ، ولو لا تسديده لوقع في الغي والضلالة ، هذا وقد أشير إلى هذا القسم من الهداية في غير واحد من الآيات المباركة ، قال عز من قائل :

" فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ٧ : ٣٠ . قل فلله الحجة البالغة فلو شآء لهداكم أجمعين ٦ : ١٤٩ . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشآء ٢ : ٢٧٢ . إن الله لا يهدي القوم الظالمين ٦ : ١٤٤ . والله يهدي من يشآء إلى صراط مستقيم ٢ : ٢١٣ . إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشآء ٢٨ : ٥٦ . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم

/ صفحة ٤٩٥ /

سبلنا ٢٩ : ٦٩ . فيضل الله من يشآء ويهدي من يشآء وهو العزيز الحكيم ١٤ : ٤ " .

(٣٣٤/١)

إلى غير ذلك من الآيات التي يستفاد منها اختصاص هداية الله تعالى وعنايته الخاصة بطائفة خاصة دون بقية الناس ، فالمسلم بعد ما اعترف بأن الله قد من عليه بهدايته هداية عامة تكوينية وتشريعية طلب من الله تعالى أن يهديه بهدايته الخاصة التكوينية التي يختص الله بها من يشاء من عباده .

* * *

وصفوة القول : أن البشر بطبعه في معرض الهلاك والطغيان فلا بد للمسلم الموحد أن لا يتكل على نفسه بل يستعين بربه ، ويدعوه لهدايته ، ليسلك به الجادة الوسطى فلا يكون من المغضوب عليهم ، ولا من الضالين .

/ صفحة ٤٩٦ /

/ صفحة ٤٩٧ /

قسم التعليقات

/ صفحة ٤٩٨ /

مصادر : حديث الثقلين ، ترجمة : الحارث وافتراء
الشعبي عليه . مصادر : حديث لتركبن سنن من قبلكم .
محادثة : بين المؤلف وحبر يهودي . ترجمة : القرآن
وشروطها . قصة : قريش في محاولتهم تعجيز النبي .
تحريف : رواية في صحيح البخاري . رأي : محمد عبده
في الطلاق الثلاث . اختلاق الرازي نسبة الجهل إلى
الله على لسان الشيعة . أحاديث : مشيئة الله . أحاديث :
إن الدعاء يغير القضاء . أهمية آية البسملة . معرفة :
بدء الخليقة في كتاب التكوين . أحاديث : إن البسملة
جزء من القرآن . قصة : نسيان معاوية لقراءة البسملة .
قراءة : النبي البسملة وتوجيه رواية أنس . ابن تيمية :
ونقله أحاديث جواز زيارة القبور . تهمة : الآلوسي
للشيعة . حوار : بين المؤلف وعالم حجازي . فضيلة :
تربة الحسين . تأويل : آية السجود بالكشف . حديث :
إبليس مع الله . الاسلام : يدور مدار الشهادتين .
العبادة وأقسام دوافعها . الامر بين الامرين : والحسنات
والسيئات . مصادر : رواية الشفاعة .

/ صفحة ٤٩٩ /

التعليقة (١)

ص ١٨

مصادر :

حديث الثقلين

روى – حديث الثقلين – أحمد في الجزء ٣ من مسنده ص ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ،
٥٩ عن أبي سعيد الخدري . ورواه الدارمي في كتاب فضائل القرآن الجزء ٢

ص ٤٣١ ، وأحمد في الجزء ٤ من مسنده : ص ٣٦٦ ، ٣٧١ عن زيد بن أرقم .
ورواه أحمد في الجزء ص ١٨٢ ، ١٨٩ عن زيد بن ثابت .

ورواه جلال الدين السيوطي في " جامعه الصغير " عن الطبراني عن زيد بن ثابت وصححه . وقال العلامة المناوي في شرحه الجزء ٣ ص ١٥ : قال الهيثمي : " رجاله موثقون " .

ورواه أيضا أبو يعلى بسند لا بأس به ، والحافظ عبد العزيز بن الاخضر وزاد أنه قال في حجة الوداع " ووهم من زعم وضعه كابن الجوزي " قال السمهودي " وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة " .

ورواه الحاكم في " المستدرك الجزء ٣ ص ١٠٩ " عن زيد بن أرقم وصححه ولم يعقبه الذهبي . وفي ألفاظ الروايات اختلاف في التعبير لكنها متفقة في المقصود .

* * *

/ صفحة ٥٠٠ /

التعليقة (٢)

ص ١٨

ترجمة :

الحارث وافتراء الشعبي عليه

هو الحارث بن عبد الله الاعور الهمداني ، وقد اتفقت كلمات علماء الامامية على أنه من أعاظم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وعلى نزاهته ومكانته السامية ، ووصفوه بالورع والتقوى ، والقيام بخدمة سيده أمير المؤمنين عليه السلام .

ونص على توثيقه الاعلام في كتبهم الرجالية وغيرها ، وذكر غير واحد من أكابر علماء السنة الحارث فأثنى عليه . قال ابن حجر العسقلاني في " تهذيب التهذيب " في ترجمة الحارث : قال الدوري عن ابن معين : " الحارث قد سمع من ابن مسعود وليس به بأس " . وقال عثمان الدارمي عن ابن معين : " ثقة " .

وقال أشعث بن سوار عن ابن سيرين : " أدركت الكوفة وهم يقدمون خمسة ، من بدأ بالحارث ينى بعبيدة ، ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحارث " . وقال ابن أبي داود : " كان الحارث أفقه الناس ، وأحسب الناس ، وأفرض الناس ، تعلم الفرائض من علي " .

وقال أبو جعفر الطبري في المنتخب من كتاب " ذيل المذيل " تحت عنوان من هلك سنة ١٦١ : " وكان الحارث من مقدمي أصاحب أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الله في الفقه والعلم بالفرائض والحساب " .

قال الذهبي في ترجمة الحارث ، وحديث الحارث في السنن الاربعة ، والنسائي مع تعنته في الرجال فقد احتج به وقوى أمره وكان من أوعية العلم . قال مرة ابن خالد أنبأنا محمد بن سيرين قال : " كان من أصحاب ابن مسعود خمسة يؤخذ عنهم ، أدركت منهم أربعة وفاتتني الحارث فلم أره ، وكان يفضل عليهم وكان أحسنهم " .

/ صفحة ٥٠١ /

أقول : قد شاء التعصب والهوى أن يقول الشعبي : " حدثني الحارث الاعور وكان كذابا " وان يتابعه جماعة على رأيه .

قال أبو عبد الله القرطبي في الجزء الاول من تفسيره ص ٥ : " الحارث رماه الشعبي بالكذب وليس بشئ ولم يبين من الحارث كذب ، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي عليه السلام وتفضيله له على غيره ، ومن ههنا – والله أعلم – كذبه الشعبي لان الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أول من أسلم " .

قال ابن حجر في ترجمة الحارث : وقد فسر ابن عبد البر في كتاب " العلم " السر في طعن الشعبي على الحارث فقال : " إنما نقم عليه لافراطه في حب علي عليه السلام ، وأظن أن الشعبي عوقب على تكذيبه الحارث لانه لم تبن منه كذبة أبدا " .

وقال ابن شاهين في الثقات : قال أحمد بن صالح المصري : " الحارث الاعور ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن علي وأثنى عليه ، قيل له فقد قال الشعبي : كان يكذب ، قال : لم يكن يكذب في الحديث إنما كان كذبه في رأيه " .

بربك أخبرني أيها الناقد البصير هل يجوز في شريعة العلم ؟ أو هل يسوغ الدين نسبة الفاحشة إلى المسلم ، وقذفه بالكذب بمجرد ولائه لامير المؤمنين عليه السلام وتفضيله إياه على غيره ؟ أليس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم هو الذي جاهر بتفضيل علي عليه السلام على غيره ، حتى جعله منه بمنزلة هارون من موسى وأثبت له خصالا لم يحظ بمثلها رجل من الصحابة ، وقد شهد بذلك – على ما رواه الحاكم في المستدرك – الجزء ٣ ص ١٠٨ – سعد بن أبي وقاص أمام معاوية حين حمله على سبه فقال :

" كيف أسب رجلا كانت له خصال من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، لو أن لي واحدة منها لكان أحب إلي من حمر النعم " ثم ذكر قصة الكساء ، وحديث المنزلة وإعطاء الراية له في يوم خيبر ، ولم يكتف نبي الاسلام صلى الله عليه واله وسلم بذلك حتى أعلم الامة بمنزلة الرفيعة – كما في نفس المصدر ص ١٠٨ – فقال لعلي : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاعك فقد أطاعني ، ومن عصاك فقد عصاني " ، وغير ذلك من فضائله التي لا تعد ولا تحصى .

/ صفحة ٥٠٢ /

نعم ليس من الغريب أن يفتري الشعبي على الحارث ، ويصفه بالكذب فقد كان من صنايع الامويين يرتع في دنياهم ، ويسير على رغباتهم ، فقد بعثه عبد الملك بن مروان – كما في كتاب النجوم الزاهرة الجزء ١ ص ٢٠٨ – إلى مصر بسبب البيعة للوليد بن عبد الملك ، ثم تولى المظالم بالكوفة – كما في كتاب الاغاني الجزء ٢ ص ١٢٠ – من قبل بشر بن مروان أيام ولايته عليها من قبل عبد الملك ، ثم تولى القضاء – كما في تاريخ الطبري الجزء ٥ ص ٣١٠ الطبعة الثانية – من قبل عمر بن عبد العزيز في الكوفة ، فهو مرواني النزعة ، يقول ويفعل بما يشاء له الهوى ، لا يتحرج من كذبه ، ولا يتبرم من خطل .

ذكر أبو الفرج في الاغاني الجزء ١ ص ١٢١ عن الحسن بن عمر الفقيمي قال : " دخلت على الشعبي فبينا أنا عنده في غرفته إذ سمعت صوت غناء فقلت أهذا في جوارك ؟ فأشرف بي على منزله فإذا بغلام كأنه قمر وهو يتغنى . . . قال فقال لي الشعبي : أتعرف هذا ؟ قلت : لا : فقال : هذا الذي أوتي الحكم صبيا ، هذا ابن سريج " .

وذكر أيضا في الجزء ٢ ص ٧١ عن عمر بن أبي خليفة قال : " كان الشعبي مع أبي في أعلى الدار فسمعنا تحتنا غناء حسنا فقال له أبي : هل ترى شيئا ؟ قال : لا . فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السن يتغنى . . فإذا هو ابن عائشة فجعل الشعبي يتعجب من غنائه ، ويقول : يؤتي الحكمة من يشاء " .

(٣٣٨/١)

وذكر أيضا في الجزء ٢ ص ١٣٣ " أن مصعب بن الزبير أيام ولايته على الكوفة أخذ بيد الشعبي وأدخله في حجلة زوجته عائشة بنت طلحة ، وهي بارزة حاسرة ، فسأله عن حالها فأبدى رأيه فيها ، ووصفها له بما يريد ، ثم أمر مصعب

له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا " .

نعم ليس غريبا من الشعبي أن يصف الحارث بهذه الصفة ، وقد افترى على أمير المؤمنين عليه السلام كما في القرطبي الجزء ١ ص ١٥٨ حيث كان يحلف بالله : " لقد دخل علي حفرته وما حفظ القرآن " .

/ صفحة ٥٠٣ /

قال الصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٠ : " وهذا كلام شنيع جدا فيمن يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فما من آية إلا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل " .

وروى السدي عن عبد خير عن علي : " أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فأقسم أن لا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : فجلس في بيته حتى جمع القرآن فهو أول مصحف جمع فيه القرآن جمعه من قلبه وكان عند آل جعفر " .

ألا تنظر أيها المسلم الغيور إلى هذا الرجل كيف تجرأ على الله وعلى رسوله ، وتكلم بهذا الكلام الشنيع ؟ أفيقال مثل هذا الكلام فيمن هو باب مدينة علم الرسول والمبين لامته لا أرسله الله به ؟ وفي ذلك روايات كثيرة كما في " كنزالعمال الجزء ٦ ص ١٥٦ " – وفيمن هو باب مدينة الحكمة كما في " صحيح الترمذي الجزء ١٣ ص ١٧١ " – وفيمن هو مع القرآن والقرآن معه لن يفترقا حتى يردا على الحوض كما في " مستدرك الحاكم الجزء ٣ ص ١٢٤ والجامع الصغير للسيوطي الجزء ٤ ص ٣٥٦ " إن الذين يكسبون الاثم سيجزون ما كانوا يقترفون .

* * *

التعليقة (٣)

ص ٢٠

مصادر :

حديث لتركبن سنن من قبلكم

. . ورد هذا الحديث في مسند أحمد الجزء ٥ ص ٢١٨ من حديث أبي واقد الليثي . وعند البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي : لتتبعن سنن من قبلكم الجزء ٨ ص ١٥١ وعند مسلم في كتاب " العلم " باب اتباع

سنن اليهود والنصارى الجزء ٨ ص ٥٧ . وفي مسند أحمد الجزء ٣ ص ٧٤ عن أبي سعيد الخدري . وفي مجمع الزوائد للهيثمي الجزء ٧ ص ٢٦١ عن ابن عباس .

/ صفحة ٥٠٤ /

التعليقة (٤)

ص ٤٣

محادثة :

بين المؤلف وحبر يهودي

وقد جرت محادثة بيني وبين حبر من أحبار اليهود تتصل بموضوع انتهاء شريعتهم بانتهاء أمد حجتها وبرهانها . قلت له : هل التدين بشريعة موسى عليه السلام يختص باليهود أو يعم من سواهم من الامم ؟ فإن اختصت شريعته باليهود لزم أن نثبت لسائر الامم نبيا آخر ، فمن هو ذلك النبي ؟ وإن كانت شريعة موسى عامة لجميع البشر ، فمن الواجب أن تقيموا شاهدا على صدق نبوته وعمومها ، وليس لكم سبيل إلى ذلك فإن معجزاته ليست مشاهدة للاجيال الآخرين ليحصل لهم العلم بها ، وتواتر الخبر بهذه المعجزات يتوقف على أن يصل عدد المخبرين في كل جيل إلى حد يمنع العقل من تواطئهم على الكذب ، وهذا شئ لا يسعكم إثباته ، وأي فرق بين إخباركم أنتم عن معاجز موسى عليه السلام وإخبار النصارى عن معاجز عيسى عليه السلام وإخبار كل امة اخرى بمعاجز أنبيائها الآخرين فإذا لزم على الناس تصديقكم بما تخبرون به ، فلم لا يجب على الناس تصديق المخبرين الآخرين في نقلهم عن أنبيائهم ؟ ! .

وإذا كان الامر على هذه الصورة فلم لا تصدقون الانبياء الآخرين ، فقال :

إن معاجز موسى ثابتة عند كل من اليهود ، والنصارى والمسلمين ، وكلهم يعترفون بصدقها . وأما معاجز غيره فلم يعترف بها الجميع ، فهي لذلك تحتاج إلى الاثبات فقلت له : إن معجزات موسى عليه السلام لم تثبت عند المسلمين ولا عند النصارى إلا باخبار نبيهم بذلك لا بالتواتر فإذا لزم تصديق المخبر عن تلك المعاجز وهو يدعي النبوة لزم الايمان به والاعتقاد بنبوته ، وإلا لم تثبت تلك المعاجز أيضا ، هذا شأن الشرائع السابقة .

/ صفحة ٥٠٥ /

أما شريعة الاسلام فإن حجتها باقية تتحدى الامم إلى يوم القيامة ، وإذا

ثبتت هذه الشريعة المقدسة وجب علينا تصديق جميع الانبياء السابقين لشهادة القرآن الكريم ونبي الاسلام العظيم .

وإذن فالقرآن هوالمعجزة الخالدة الوحيدة الباقية التي تشهد لجميع الكتب المنزلة بالصدق ، ولجميع الانبياء بالتنزيه .

* * *

التعليقة (٥)

ص ٤٤

ترجمة :

القرآن وشروطها

لقد بعث الله نبيه لهداية الناس فعززه بالقرآن ، وفيه كل ما يسعدهم ويرقى بهم إلى مراتب الكمال ، وهذا لطف من الله لا يختص بقوم دون آخر بل يعم البشر عامة ، وقد شاءت حكمته البالغة أن ينزل قرآنه العظيم على نبيه بلسان قومه ، مع أن تعاليمه عامة ، وهدايته شاملة ، ولذلك فمن الواجب أن يفهم القرآن كل أحد ليهتدي به .

ولا شك أن ترجمته ممايعين على ذلك ، ولكنه لا بد وأن تتوفر في الترجمة براعة وإحاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن إلى غيرها ، لان الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن ، بل ويجري ذلك في كل كلام إذ لا يؤمن أن تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الاصل .

ولا بد – إذن – في ترجمة القرآن من فهمه ، وينحصر فهمه في أمور ثلاثة :

١ – الظهور اللفظي الذي تفهمه العرب الفصحى .

٢ – حكم العقل الفطري السليم .

٣ – ما جاء من المعصوم في تفسيره .

/ صفحة ٥٠٦ /

وعلى هذا تتطلب إحاطة المترجم بكل ذلك لينقل منها معنى القرآن إلى لغة اخرى .

وأما الآراء الشخصية التي يطلقها بعض المفسرين في تفاسيرهم ، لم تكن على ضوء تلك الموازين فهي من التفسير بالرأي ، وساقطة عن الاعتبار ، وليس للمترجم أن يتكل عليها في ترجمته .

وإذا روعي في الترجمة كل ذلك فمن الراجح أن تنقل حقائق القرآن ومفاهيمه

إلى كل قوم بلغتهم ، لانها نزلت للناس كافة ، ولا ينبغي أن تحجب ذلك عنهم لغة القرآن ما دامت تعاليمه وحقائقه لهم جميعا

* * *

التعليقة (٦)

ص ١١٢

قصة :

قريش في محاولتهم لتعجيز النبي

(٣٤١/١)

ويرشد إلى ما أوضحناه في معنى الآيات الكريمة المتقدمة : الروايات التي وردت في شأن نزولها . ففي " تفسير البرهان " عند تفسيره هذه الآيات :

" أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان قاعدا ذات يوم بمكة بفناء الكعبة ، إذاجتمع جماعة عن رؤساء قريش ، منهم الوليد بن المغيرة المخزومي ، وأبو البختري بن هشام ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل السهمي ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ، وجمع ممن يليهم كثير ، ورسول الله صلى الله عليه واله وسلم في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ، يذكرهم عن الله أمره ونهيه . فقال المشركون بعض لبعض : قد استفحل أمر محمد وأعظم خطبه . تعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه ، والاحتجاج عليه ، وإبطال ما جاء به ليهون خطبه على أصحابه ، ويصغر قدره عندهم ، فلعله أن ينزع عما هو فيه ، ومن غيه وباطله ، وتمرده وطغيانه ، فإن

/ صفحة ٥٠٧ /

انتهى وإلا عاملناه بالسيف الباتر . فقال أبو جهل : فمن ذا الذي يلي كلامه ومحاورته ؟ قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي : أنا إلى ذلك ، أما ترضاني له قرنا حسيبا ومحاورا كفيا ؟ قال أبو جهل : بلى . فأتوه جميعا فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال :

يا محمد لقد ادعيت دعوى عظيمة ، وقلت مقالا هائلا . زعمت أنك رسول الله رب العالمين ، وما ينبغي لرب العالمين ، وخالق الخلق أن يكون مثلك رسولا له بشرا مثلنا ، تأكل كما نأكل ، وتشرب كما نشرب ، وتمشي في الاسواق كما نمشي . فهذا ملك الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولا إلا كثير مال ، عظيم حال له قصور ودور وفساطيط وخيام ، وعبيد وخدم . ورب العالمين فوق هؤلاء

كلهم وهو عبيده . . لو أراد الله أن يبعث الينا رسولا لبعث أجل من فيما بيننا مالا ، وأحسن حالا . فهلا انزل هذا القرآن – الذي تزعم أن الله أنزله اليك وبعثك رسولا – على رجل من القريتين عظيم ، إما الوليد بن مغيرة بمكة ، وإما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف .

(٣٤٢/١)

فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : فهل بقي من كلامك شئ يا عبد الله ؟ قال : بلى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا بمكة هذه ، فإنها ذات أحجار وعرة وجبال ، تكسح أرضها وتحفرها ، وتجري فيها العيون فإنا إلى ذلك محتاجون ، أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتأكل منها وتطعمها ، وتفجر الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، فإنك قلت لنا : وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ، فلعلنا نقول ذلك .

ثم قال : ولن نؤمن لك أو تأتي بالله والملائكة قبيلا تأتي بهم وهم لنا مقابلون أويكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنينا فلعلنا نطغى فإنك قلت لنا : كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى .

ثم قال : أوترقى في السماء ولن نؤمن لصعودك حتى تنزل علينا كتابا من الله العزيز الحكيم ، إلى عبد الله بن أبي أمية المخزومي ومن معه بأن آمنوا بمحمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ، فإنه رسولي ، وصدقوه في مقاله فإنه من عندي .

/ صفحة ٥٠٨ /

ثم لامري يا محمد إذافعلت هذا كله اؤمن بك أو لا اؤمن بك ، لو رفعتنا إلى السماء ، وفتحت أبوابها ، ودخلناها لقلناإنما سكرت أبصارنا وسحرتنا . .

فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اللهم أنت السامع لكل صوت ، والعالم بكل شئ ، تعلم ما قاله عبادك . .

وأما قولك : إن هذا ملك الروم ، وملك الفرس لا يبعثان رسولا إلا كثير المال . . فإن الله له التدبير والحكم ، لا يفعل على ظنك وحسابك واقتراحك ، بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . . فلو كان النبي صاحب قصور يحتجب فيها ، أو عبيد وخدام يسترونه عن الناس أليس كانت الرسالة تضيع والامور تتباطأ ؟

وأما قولك لي : ولو كنت نبيا لكان معك ملك يصدقك ونشاهده فالملك

لا تشاهده حواسكم ، لانه من جنس هذا الهواء لاعيان منه ، ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم : ليس هذا ملك بل هذا بشر لانه إنما كان يظهر لكم

(٣٤٣/١)

بصورة البشر الذي ألفتموه لتفهموا عنه مقاله . .

وأما قولك : ما أنت إلا رجلا مسحورا فكيف أكون كذلك وأنتم تعلمون أني في التمييز والعقل فوقكم ، فهل جربتم علي مذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة جريرة أو كذبة أوخنى ، أوخطأ من القول أو سفها من الرأي ؟ أتظنون أن رجلا يعتصم طول هذه بحول نفسه وقوتها أو بحول الله وقوته . . ؟ .

وأما قولك : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . . فإن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت ، ولا خطر له عنده كماله عندك . . وليس هو عز وجل ممايخاف أحدا كما تخافه لما له وحاله .

وأما قولك : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، إلى آخر ما قلته ، فإنك اقترحت على محمد رسول الله أشياء : منها ما لو جاءك به لم يكن برهانا لنبوته ، ورسول الله يرتفع أن يغتنم جهل الجاهلين ويحتج عليهم بما لا حجة فيه . ومنها ما لوجاءك به كان معه هلاكك ، وإنما يؤتى بالحجج والبراهين ليلزم عباد الله الايمان ، لئلا يهلكوابها ، فإنما اقترحت هلاكك ، ورب العالمين أرحم بعباده ، وأعلم بمصالحهم من أن يهلكهم كما يقترحون ، ومنها المحال الذي لا يصح ولا

يجوز كونه . . ومنها ما قد اعترفت على نفسك أنك فيه معاند متمرد لا تقبل حجة ، ولا تصغي لبرهان . . !

فأما قولك : يا عبد الله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فإنك سألت هذا وأنت جاهل بدلائل الله ، أرأيت لو فعلت هذا كنت من أجل هذا نبيا ؟ . . فما هو إلا كقولك لن نؤمن لك حتى تقوم وتمشي على الارض . . أو ليس لك ولاصحابك جنان من نخيل وعنب بالطائف تأكلون وتطعمون منها ، وتفجرون خلالها تفجيرا ، أفصرتم أنبياء بهذا ؟ . .

وأما قولك : أو تسقط السماء كما زعمت كسفا . . فإن في سقوط السماء عليكم موتكم وهلاككم ، فإنما تريد بهذا من رسول الله أن يهلكك ورسول رب العالمين أرحم بك من ذلك ولا يهلكك ، لكنه يقيم عليك حجج الله ، وليس حجج

الله لنبيه وحده على حسب الاقتراح من عباده ، لان العباد جهال بما يجوز من الصلاح وما لا يجوز من الفساد . . وهل رأيت يا عبد الله طبيبا كان دواؤه للمرضى على حسب اقتراحهم ؟ . . فمتى رأيت يا عبد الله مدعي حق من قبل رجل أوجب عليه حاكم من حكامهم فيما مضى بينة على دعواه على حسب اقتراح المدعى عليه . . !

وأما قولك : أو تأتي بالله والملائكة قبيلا يقابلوننا ونعاينهم ، فإن هذا من المحال الذي لا خفاء به إن ربنا عز وجل ليس كالمخلوقين يجئ ويذهب ويقابل ويتحرك ، ويقابل شيئا حتى يؤتى به ، فقد سألتم بهذا المحال . .

وأما قولك : يا عبد الله أويكون لك بيت من زخرف – وهو الذهب – أما بلغك أن لعظيم مصر بيوتا من زخرف ؟ قال : بلى . قال أفصار بذلك نبيا ؟ قال : لا . قال صلى الله عليه واله وسلم فكذلك لا يوجب ذلك لمحمد لو كان له نبوة ، ومحمد لا يغتنم جهلك لحجج الله . . !

وأما قولك : يا عبد الله : أو ترقى في السماء ، ثم قلت : ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، يا عبد الله الصعود إلى السماء أصعب من النزول عنها ، فإذا اعترفت على نفسك أنك لا تؤمن إذا صعدت فكذلك حكم نزولي ، ثم قلت :

/ صفحة ٥١٠ /

حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، من بعد ذلك لا أدري اؤمن بك ؟ . فأنت يا عبد الله مقر بأنك تعاند حجة الله عليك . . وقد أنزل الله تعالى علي كلمة جامعة لبطلان ما اقترحته فقال : قل يا محمد سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا . . وليس لي أن آمر ربي ولا أنهى ولا أشير . . " .

والحديث يشتمل على فوائد كثيرة فليراجعه المتتبع ، وفي شأن نزول هذه الآيات روايات عديدة ذكرها " الطبري " عند تفسير الآيات المباركة .

* * *

التعليقة (٧)

ص ٣٢٠

تحريف :

حديث المتعة في صحيح البخاري

روى هذا الحديث :

" كنانغزو مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وليس معنا نساء ، فقلنا : ألا نستخصي

(٣٤٥/١)

فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله " يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " .

رواها عن البخاري جماعة من المحدثين ، والمفسرين ، والفقهاء بهذا النص ، ولكن الموجود في صحيح البخاري المتداول : الجزء ٦ ص ٥٣ يخالف ما ذكره هؤلاء من وجهين :

١ – حذف كلمة : " ابن مسعود " من سند الحديث – وقد ذكره معظمهم – لانه كان يقول بجواز المتعة ، حتى لا تكون قرينة على أن المراد بهذه الرواية هو جواز نكاح المتعة وترخيصه .

٢ – حذف كلمة " إلى أجل " من آخر الرواية ، لانها صريحة في ترخيص / صفحة ٥١١ /

نكاح المتعة ، كما فهمها الشراح وفسروها ، لان الترخيص في النكاح – في هذا المورد – لا بد وأن يكون ترخيصا لنكاح المتعة ، دون النكاح الدائم ، خاصة وإن كان المقصود من : " ليس معنا نساء " أي نساؤنا وزوجاتنا ، لا مطلق النساء ، وإلا لم يكن معنى للترخيص في النكاح في تلك الحالة ، ويؤيد ذلك ما ورد في بعض المصادر : " ليس لنا نساء " .

ولدلالة هذه الرواية على نكاح المتعة ادعى غير واحد من الفقهاء نسخ هذا الحكم الثابت في هذه الرواية بتحريم نكاح المتعة بعد ذلك بروايات اخرى تفيد تحريمها .

ومع أن ذلك لا يتم لهم لاسباب مرت عليك – عند مناقشة تلك الروايات في آية المتعة – فإن يد التحريف تناولت هذه الرواية فغيرتها عما كانت عليه من الصحة . ألا قاتل الله التحريف ، وأهواء المحرفين ! .

ومن المحدثين ، والمفسرين ، والفقهاء الذين رووا الحديث المذكور عن البخاري على وجه الصحة ، هم :

(أ) البيهقي : في سننه الجزء ٧ الصفحة ٢٠٠ طبعة حيدر آباد

(ب) السيوطي : في تفسيره " ٢ " ٢٠٧ " الميمنية بمصر
(ج) الزيلعي : في نصب الراية " ٣ " ١٨٠ " دار التأليف "
(د) ابن تيمية : في المنتقى " ٢ " ٥١٧ " الحجازي "

(٣٤٦/١)

(هـ) ابن القيم : في زاد المعاد " ٤ " ٨ " محمد علي صبيح "
(و) القنوجي : في الروضة الندية " ٢ " ١٦ " المنيرية "
(ز) محمد بن سليمان : في جمع الفوائد " ١ " ٥٨٩ " دار التأليف "
ولهذه الرواية مصادر اخرى وهي :
(ح) مسند أحمد : الجزء ١ الصفحة ٤٢٠ طبعة مصر ١٣١٣
(ط) تفسير القرطبي : " ٥ " ١٣٠ " " ١٣٥٦
(ي) تفسير ابن كثير : " ٢ " ٨٧ " " علي البابي
/ صفحة ٥١٢ /
(ك) أحكام القرآن : الجزء ٢ الصفحة ١٨٤ طبعة مصر ١٣٤٧
(ل) الاعتبار للحازمي : " - " ١٧٦ " حيدر آباد
وهناك مصادر اخرى كصحيح أبي حاتم البستي وغير ذلك من امهات المصادر .

* * *

التعليقة (٨)
ص ٣٣١
رأي :
محمد عبده في الطلاق الثلاث
فإنه بعدما اثبت أن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة ، قال :
" وليس المراد مجادلة المقلدين أو إرجاع القضاة والمفتين عن مذاهبهم فيها ، فإن أكثرهم يطلع على هذه النصوص في كتب الحديث وغيرها ، ولا يبالي بها ، لان العمل عندهم على أقوال كتبهم دون كتاب الله تعالى وسنة رسوله " . تفسير المنار . الجزء ١ ص ٣٨٦ .
وليته ذكر مثل هذا الكلام في بحث المتعة ، وذلك لما عرفت أن نكاح المتعة قد ثبت في الشريعة الاسلامية دن أن يثبت له ناسخ ، فلم يبق للقائلين بتحريمه

غير اتباع أقوال كتبهم دون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه واله وسلم ! .

* * *

التعليقة (٩)

ص ٣٨٥

اختلاق :

الرازي نسبة الجهل إلى الله

ومن الذين لم يثبتوا ولم يتوقفوا الفخر الرازي عند تفسيره قوله تعالى :

/ صفحة ٥١٣ /

" يمحوالله ما يشاء ويثبت . . " قال : قالت الرافضة : البداء جائز على الله تعالى

وهو أن يعتقد شيئا ، ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقده . انتهى .

سبحانك اللهم إن هذا إلا اختلاق . وقد حكى الرازي في خاتمة كتاب

المحصل عن سليمان بن جرير كلاما يقبح منه ذكره ولا يحسن مني سطره .

وإن هذه الكلمة قد صدرت على أثر كلمة اخرى تشابهها تفوه بها بعض

النصارى في حق الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم حينما جاء بأحكام ناسخة لما جاء به قبلها

" كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

* * *

التعليقة (١٠)

ص ٣٨٦

أحاديث :

مشيئة الله في خلقه

روى الصدوق في كتابي التوحيد ومعاني الاخبار بإسناده عن أبي عبد الله

عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل : " وقالت اليهود يدالله مغلولة " : لم يعنوا

أنه هكذا ، ولكنهم قالوا : قد فرغ من الامر ، فلا يزيد ولا ينقص ، فقال الله

جل جلاله تكذيبا لقولهم : " غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان

ينفق كيف يشاء " ألم تسمع الله عز وجل يقول : " يمحوالله ما يشاء ويثبت

وعنده أم الكتاب " .

وروى العياشي عن يعقوب بن شعيب ، وعن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام نحو ذلك ، هذه الروايات وغيرها مما نذكره في هذا الفصل موجودة في كتاب البحار لشيخنا المجلسي الجزء ٢ ص ١٣١ – ١٤٢ .

* * *

(البيان – ٣٣)

/ صفحة ٥١٤ /

التعليقة (١١)

ص ٣٩٣

أحاديث :

ان الدعاء يغير القضاء

روى سليمان ، قال : قال رسول الله لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، رواه الترمذي ، باب ما جاء : لا يرد القدر إلا الدعاء الجزء ٨ ص ٣٥٠ .

وروى ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : لا يزيد في العمر إلا البر ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ، وان الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها .

رواه ابن ماجة : باب في القدر الجزء ١ ص ٢٤ . ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ولم يتعقبه الذهبي الجزء ١ ص ٤٩٣ ، ورواه أحمد في مسنده الجزء ٥ ص ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ . والروايات بهذا المعنى كثيرة تطلب من مظانها .

* * *

التعليقة (١٢)

ص ٤٣٤

أهمية :

آية البسملة

قد أوضحنا في بحث الاعراب – ص ٤٥٩ – ان إضافة اسم إلى الله إضافة معنوية ، وأن كلمة " الله " مستعملة في معناها ، وعليه فقد استعملت كلمة

" اسم " في معناها الجامع القابل للصدق على جميع أسمائه تعالى ، فهو من باب ذكر المفهوم والاشارة به إلى المصداق . وبما أن الاسم الاعظم أشرف المصاديق

فلا محالة أن يكون أولى وأحق بانطباق المفهوم عليه . وبهذا يتضح معنى كون " بسم الله " أقرب إلى الاسم الاعظم من سوادالعين إلى بياضها : فإن القرب بينهما قرب ذاتي ، إذا المفهوم متحد مع مصداقه خارجا ، وقرب سواد العين إلى بياضها قرب مكانها ، والاتحاد بينهما وضعي .

/ صفحة ٥١٥ /

التعليقة (١٣)

ص ٤٣٤

معرفة :

بدء الخليقة في الكتاب التكويني

قال النبي صلى الله عليه واله وسلم : أول ما خلق الله نوري . البحار : باب حقيقة العقل وكيفيته وبدء خلقه الجزء ١ ص ٣٣ .

وروى محمد بن سنان قال : " كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فقال يا محمد : إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفردا بوحدانيته ، ثم خلق محمدا وعليا وفاطمة فمكثوا ألف دهر . . " اصول الكافي باب تاريخ مولد النبي ص ٢٣٩ ، والوافي باب بدء خلق المعصومين الجزء ٢ ص ١٥٥ .

* * *

التعليقة (١٤)

ص ٤٤٤

أحاديث :

ان البسملة جزء من القرآن

روى البيهقي بإسناده عن ام سلمة :

" أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية . . " ورواه الحاكم في المستدرك الجزء ١ ص ٢٣٢ وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وعن عبد خير ، قال : " سئل علي عن السبع المثاني ، فقال : الحمدلله ، فقيل له : إنما هي ست آيات ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم آية . ورواها عن أبي هريرة أيضا .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه كان يقول : " الحمد لله رب العالمين سبع آيات ، إحداهن بسم الله الرحمن الرحيم . . . "

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه واله وسلم كان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم " ورواها الترمذي أيضا الجزء ٢ ص ٤٤ " .

/ صفحة ٥١٦ /

وعن ابن عمر : أنه كان إذا افتتح الصلاة كبر ، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ، فإذافرغ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم . قال : وكان يقول لم كتبت في المصحف إن لم تقرأ ؟ ! إلى غير ذلك من الروايات . راجع الجزء الثاني من سنن البيهقي ص ٤٣ – ٤٧ .

وفي كنز العمال في فضل فضائل السور والآيات الجزء ٢ ص ١٩٠ وفي باب : البسملة آية ص ٣٧٥ : روى الثعلبي عن علي عليه السلام أنه كان أذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وكان يقول : من ترك قراءتها فقد نقص وكان يقول : هي تمام السبع المثاني .

* * *

التعليقة (١٥)

قصة :

نسيان معاوية قراءة البسملة

روى البيهقي الجزء ٢ ص ٤٩ بإسناده عن أنس بن مالك أنه قال :

" صلى معاوية بالمدينة صلاة ، فجهرفيها بالقراءة ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لان المقرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة ، ولم يكبر حين يهوي حتى قضى تلك الصلاة ، فلما سلم ، ناداه من شهد ذلك من المهاجرين من كل مكان يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت ؟ فلما صلى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن ، وكبر حين يهوي ساجدا " ورواها بطريق آخر ، غير أنه قال : فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن ، ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها ، وزاد " الانصار " .

ورواها الحاكم في المستدرك الجزء ١ ص ٢٣٣ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم .

* * *

/ صفحة ٥١٧ /

التعليقة (١٦)

ص ٤٤٤

قراءة

النبي البسملة وتوجيه رواية أنس

تقدمت إحدى هذه الروايات في ص ٤٤٤ ، وروى قتادة عن أنس : أن قراءة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كانت مدا ، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم " سنن البيهقي – باب افتتاح القراءة في الصلاة ببسم الله – الجزء ٢ ص ٤٦ ، والمستدرك ، حديث الجهر ببسم الله الجزء ١ ص ٢٣٣ " .

(٣٥٠/١)

وروى شريك عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يجهر بسم الله الرحمن الرحيم . قال الحاكم : رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات .

وروى العسقلاني قال : صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول : ما آلو أن أقتدي بصلاة ابي وقال ابي : ما آلو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك ، وقال أنس بن مالك : ما آلو أن أقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم .

قال الحاكم : رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات " المستدرك الجزء ١ ص ٢٣٣ – ٢٣٤ " .

وروى أبو نعامة عن أنس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأبو بكر وعمر لا يقرأون يعني لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم " سنن البيهقي – باب من قال لا يجهر بها – الجزء ٢ ص ٥٢ " .

أقول : يمكن أن يكون المراد من رواية أنس المتقدمة – التي استدلوا بها على أن البسملة ليست من القرآن – أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومن بعده لم يجهروا بالبسملة ، والقرينة على ذلك هذه الرواية الاخيرة ، ويؤيد هذا أن أنس قد عبر في الرواية المتقدمة بعدم سماعه القراءة ، بل وفي بعض روايات أنس قال : فلم

أسمع أحدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وفي بعضها قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم . . " سنن النسائي – باب ترك الجهر ببسم الله – الجزء ١ ص ١٤٤ " وعليه فلا معارضة بين رواية أنس المتقدمة وما ذكرناه من الروايات الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومن بعده

كانوا يقرأونها .
نعم ذكر في رواية واحدة : أنهم لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في
أول قراءة ولا في آخرها " صحيح مسلم – باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة –
الجزء ٢ ص ١٢ ، إلا أن في سند هذه الرواية الوليد بن مسلم القرشي ، وفي وثاقته

كلام ، بل صرح غير واحد بكثرة خطئه ، أو تدليسه " راجع تهذيب التهذيب " .
وأما رواية قتادة عن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأبو بكر وعمرو عثمان
يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين " الترمذي باب ما جاء في افتتاح القراءة
بالحمد – الجزء ٢ ص ٤٥ ، وسنن أبي داود باب الجهر ببسم الله – الجزء ١ ص
١٢٥ وقريب منه ما رواه النسائي باب البداءة بفاتحة الكتاب الجزء ١
ص ١٤٣ " .
فهذه الرواية محمولة على أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ومن بعده كانوا يبدأون بقراءة
فاتحة الكتاب ، وقد أطلق جملة : الحمد لله رب العالمين على سورة فاتحة الكتاب
ووقع مثل ذلك في بعض الروايات المتقدمة ، وعلى ذلك حملها الشافعي أيضا .
* * *
التعليقة (١٧)
ص ٤٧٠
ابن تيمية
ونقله أحاديث جواز زيارة القبور
إن كثرة الروايات في المقام ، واستفاضتها أغنتنا عن ذكرها ، إلا أننا نذكر
بعض ما رواه عبد السلام بن عبد الله بن تيمية جد أحمد بنفسه في كتابه " المنتقى
من أخبار المصطفى " وبعض ما رواه غيره :
/ صفحة ٥١٩ /
١ – روى عن بريدة ، قال :
" قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فقد أذن
لمحمد في زيارة قبر أمه ، فزوروها ، فإنها تذكرة الآخرة " قال : رواه
الترمذي وصححه .
٢ – وعن أبي هريرة ، قال :

" زار النبي صلى الله عليه واله وسلم قبر امه فبكى وأبكى من حوله فقال : استأذنت ربي أن أستغفر لها ، فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها ، فأذن لي ، فزوروا القبور ، فإنها تذكر الموت " . قال : رواه الجماعة .

٣ – وعن عبد الله بن أبي مليكة :

" إن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها : يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن ، فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم . كان نهى عن زيارة القبور ، ثم أمر

(٣٥٢/١)

بزيارتها " قال : رواه الاثرم في سننه .

أقول : قال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على الكتاب ، ورواه ابن ماجة ، والحاكم ، والبغوي في شرح السنة .

٤ – عن أبي هريرة :

" ان النبي صلى الله عليه واله وسلم أتى المقبرة ، فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " قال : رواه أحمد ، ومسلم ، والنسائي . ولاحمد من حديث عائشة مثله ، وزاد : اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم .

٥ – وعن بريدة ، قال :

" كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية " قال : رواه أحمد ، ومسلم ، وابن ماجة – المنتقى – الجزء ٢ ص ١١٦ .

/ صفحة ٥٢٠ /

٦ – روى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم :

" من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي " . رواه الطبري في الاوسط ، والبيهقي في السنن .

٧ – وروى أيضا عنه صلى الله عليه واله وسلم :

" من زار قبري وجبت له شفاعتي " . رواه ابن عدي في الكامل ، والبيهقي في شعب الايمان .

٨ – روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم :

" من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة " . رواه البيهقي في شعب الايمان – كنز العمال فضل زيارة القبور الجزء ٨ ص ٩٩ .

٩ – روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم :

" ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به ، حتى يقوم من عنده " . رواه أبو الشيخ ، والديلمي .

١٠ – وروى أيضا عنه صلى الله عليه واله وسلم :

" ما من رجل يمر بقبر كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام " . رواه تمام ، وخطيب ، وابن عساكر ، وابن النجار . قال في كنز العمال : وسنده جيد . والروايات التي جمعها في كنز العمال الجزء ٨ ص ٩٩ وما

(٣٥٣/١)

بعدها وص ١٢٥ وما بعدها يقرب من ثمانين رواية ، من أراد الاطلاع عليها فليراجعها .

١١ – روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال :

" ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام " . سنن البيهقي باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه واله وسلم الجزء ٥ ص ٢٤٥ .

١٢ – روى ابن عمر في استلام الحجر ، قال :

" كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يستلمه ويقبله ، فقال – السائل – : أرأيت إن زحمت ؟ أرأيت إن غلبت ؟ قال : اجعل أرأيت باليمن ، رأيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يستلمه ويقبله " . رواه البخاري في الصحيح عن مسدد .

/ صفحة ٥٢١ /

١٣ – روى ابن عباس ، قال :

" رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه . قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فعل كذا " . قلت رواه الطيالسي وغيره .

١٤ – وروى أبو جعفر :

" أن ابن عباس قبل الركن ، ثم سجد عليه ، ثم قبله ، ثم سجد عليه ثلاث مرات " .

١٥ – روى عكرمة عن ابن عباس ، قال :

" رأيت النبي صلى الله عليه واله وسلم يسجد على الحجر " سنن البيهقي باب السجود عليه

– على الحجر – الجزء ٥ ص ٧٤ ، ٧٥ .

١٦ – روى داود بن أبي صالح ، قال :

" أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر ، فأخذ برقبته وقال :

أتدري ما تصنع ؟ قال : نعم . فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الانصاري – رضي

الله عنه – فقال : جئت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله " . رواه الحاكم في المستدرك الجزء ٤ ص ٥١٥ ، وصححه ولم يعقبه الذهبي .

وروى ابن تيمية روايات تقبيل الحجر واستلامه ، ووضع الخد عليه في

المنتقى الجزء ٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

١٧ – وأخرج الحافظ ابن عساكر .

" أن فاطمة جاءت ، فوقفت على قبر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فأخذت قبضة من

تراب القبر ، فوضعت على عينيها وبكت :

١٨ – وأخرج أيضا :

" أن أعرابيا جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه واله وسلم ، وحثا من ترابه على رأسه ، وخاطبه وقال : وكان فيما انزل عليك : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك . . وقد ظلمت

وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر : قد غفر لك . وكان هذا بمحضر من علي

أمير المؤمنين " .

/ صفحة ٥٢٢ /

١٩ – وأخرج أيضا :

" أن بلالا أتى قبر النبي صلى الله عليه واله وسلم وجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما " الغدير الجزء ٥ ص ١٢٧ – ١٢٨ .

* * *

التعليقة (١٨)

ص ٤٧٢

تهمة

الآلوسي للشيعة

ونظير الاتهام المذكور في (ص ٤٧٢) ما ذكره الآلوسي عند تفسير قوله

تعالى : " كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر " من أن الشيعة يجوزون الاكل والشرب إلى طلوع الشمس .

ولست أدري إلى أي سناد استند في هذه النسبة ، وهو في بغداد عاصمة العراق ، والعراق مقر الشيعة قديما وحديثا ، ولا سيما أن المشاهد المشرفة قريبة من بغداد ، وقل من يوجد من غير الشيعة فيها . أضف إلى ذلك أن الآلوسي لم يكن بعيدا من كتب الشيعة ومؤلفاتها .

ولعمري : إن هذه النسبة وأمثالها هي التي فرقت بين المسلمين ، وحكمت عليهم أعداءهم . ولعلها كانت دسائس أجنبية .

* * *

التعليقة (١٩)

ص ٤٧٢

حوار

بين المؤلف وعالم حجازي

لقيت شيخا فاضلا يدعى بالشيخ زين العابدين في المسجد النبوي الشريف / صفحة ٥٢٣ /

سنة تشرفي بحج بيت الله الحرام ١٣٥٣ يترصد لمن يسجد على التربة فيأخذها منه فقلت له : يا شيخ أما حرم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم التصرف في مال المسلم بغير إذنه ورضاه ؟ قال : نعم . قلت : فلما ذا تسلب هؤلاء المسلمين أموالهم ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ؟ قال : هم مشركون اتخذوا التربة صنما يسجدون لها . قلت : أتسمح لي بالمذاكرة حول هذا الموضوع ؟ قال :

لا بأس . فشرعنا في المذاكرة والمناظرة حتى انتهى الامر إلى أن اعتذر عما ارتكبه ، واستغفر الله ربه ، وقال : إني كنت رجلا التبس عليه الامر . ثم التمسني المذاكرة معه في مواضيع شتى فكان ينعقد مجلس لمحاضرتي في المسجد النبوي كل ليلة ، وبقينا زهاء عشرليال نجتمع فيه ونحن جماعة مختلطة من مختلف المذاهب ، وتجري المناظرة بيني وبين الشيخ حول تلك المواضيع ، وكانت عاقبة الامر أن تبرأ الشيخ مما كان يعتقد في حق الشيعة ، ووعدني أن ينشر محاضراتي في جريدة " ام القرى " ليتبين الامر لغير المعاندين للحق ، ممن التبس عليهم

الامر ، وأن يبعث إلي نسخة من تلك الجريدة ، إلا أنه لم يف بوعده ولعل الظروف لم تساعده ، وحالت الاوضاع بينه وبين ما يريد .

* * *

التعليقة (٢٠)

ص ٤٧٣

فضيلة :

تربة الحسين

روى أبو يعلى في مسنده ، وابن أبي شيبة وسعيد عن منصور في سننه عن مسند علي ، قال :

" دخلت على النبي صلى الله عليه واله وسلم : ذات يوم ، وعيناه تفيضان قلت : يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : بلى قام من عندي جبرئيل قبل ، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات ، فقال : هل لك إلى أن أشمك من تربته / صفحة ٥٢٤ /

قلت : نعم ، فمد يده ، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا " .

وروى الطبراني في " الكبير " عن ام سلمة ، قالت : اضطجع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ذات يوم فاستيقظ وهو خائر النفس ، وفي يده تربة حمراء يقلبها ، فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟ قال : أخبرني جبرئيل أن هذا يقتل بأرض العراق " للحسين " فقلت لجبرئيل : أرني تربة الارض التي يقتل بها ، فهذه تربتها ، ورواها ابن أبي شيبة عن ام سلمة مع اختلاف في ألفاظها ، وروى ابن ماجة والطيالسي وأبو نعيم ما يقرب منها عن ام سلمة . وروى أبو نعيم عن أنس ما يقرب من مضمونها أيضا ، " كنز العمال الجزء ٧ الصفحة ١٠٥ ، ١٠٦ " .

التعليقة (٢١) ص ٤٧٤

تأويل :

آية السجود بالكشف

قال الحسن بن منصور :

" لما قبل لابليس : اسجد لآدم ، خاطب الحق فقال : ارفع شرف السجود

عن سري إلا لك في السجود حتى أسجد له ، إن كنت أمرتني فقد نهيتني ، فقال له : فإني اعذبك عذاب الابد ، فقال : أو لست تراني في عذابك لي ؟ فقال : بلى ، فقال : فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب افعل بي ما شئت " . تفسير ابن روزبهان الصفحة ٢١ طبعة الهند .

أقول : فلتقر عيون أصحاب الكشف – ابن روزبهان وأمثاله – بهذه المكاشفة ونظائرها المخالفة لحكم العقل ، وصريح القرآن ، وضرورة الدين .

/ صفحة ٥٢٥ /

التعليقة (٢٢)

ص ٤٧٥

حديث : ابليس مع الله

عن الصادق عليه السلام :

" قال إبليس : رب اعفني من السجود لآدم ، وأنا أعبدك عبادة لا يعبدكها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فقال جل جلاله : لا حاجة لي في عبادتك ، إنما عبادتي من حيث اريد ، لا من حيث تريد " تفسير الصافي ، عند تفسير قوله تعالى : فسجدوا إلا إبليس ، ص ٢٦ .

وقال عليه السلام – أيضا – في جواب سؤال الزنديق :

" كيف أمر الله الملائكة لآدم : إن من سجد بأمر الله فقد سجد لله ، فكان سجوده لله إذاكان عن أمر الله " البحار – باب سجود الملائكة ومعناه ، الجزء ٥ ص ٣٧ .

* * *

التعليقة (٢٣)

ص ٤٧٦

الاسلام :

يدور مدار الشهادتين

روى سماعة عن الصادق عليه السلام :

" الاسلام شهادة أن لاإله إلا الله ، والتصديق برسول الله ، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث " الوافي باب ان الايمان أخص من الاسلام الجزء ٣ ص ١٨ .

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال :

" اقاتل حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " ورواها

/ صفحة ٥٢٦ /

جابر وعبد الله بن عمر باختلاف يسير – صحيح مسلم باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله الجزء ١ ص ٣٩ .

(٣٥٧/١)

قال في " تيسير الوصول " بعد رواية عبد الله بن عمر : أخرجه الشيخان – الجزء ١ ص ٢٠ وهذه الرواية رواها الترمذي عن أبي هريرة ، باب ما جاء أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الجزء ١٠ ص ٦٨ ، ورواها النسائي عن أنس أيضا – كتاب " تحريم الدم " الجزء ٢ ص ١٦١ ، وباب على ما يقاتل الناس ص ٢٦٩ ، ورواها أحمد في مسنده الجزء ٢ ص ٣٤٥ ، ٥٢٨ عن أبي هريرة والجزء ٣ ص ١٩٩ ، ٢٢٤ عن أنس والجزء ٥ ص ٢٤٦ عن معاذ بن جبل .

وص ٤٣٣ ما يؤدي معناها عن عبيد الله بن عدي ، قال في " تيسير الوصول " الجزء ١ ص ٢٠ بعد رواية عبيد الله أخرجه مالك .

وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال :

" امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله " صحيح البخاري باب قتل من أبي قبول الفرائض الجزء ٨ ص ٥٠ ، ورواها مسلم أبو داود وابن ماجة والترمذي والنسائي وأحمد والطيالسي .

وروى أوس بن أوس الثقفي ، قال :

" دخل علينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ونحن في قبة في مسجد المدينة ، فأتاه رجل فساره بشئ لا ندري ما يقول ، فقال صلى الله عليه واله وسلم اذهب قل لهم يقتلوه ، ثم دعاه فقال : لعله يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، قال : نعم ، فقال : اذهب فقل لهم يرسلوه ، أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها حرمت علي دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، وكان حسابهم على الله .

رواها أبو داود الطيالسي وأحمد والدارمي والطحاوي " كنز العمال في حكم الاسلام طبعة دائرة المعارف العثمانية الجزء ١ ص ٣٧٥ " .

* * *

/ صفحة ٥٢٧ /

التعليقة (٢٤)

ص ٤٧٨

العبادة :

وأقسام دوافعها

روى محمد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

" إن العباد ثلاثة : قوم عبدوا الله عز وجل خوفا ، فتلك عبادة العبيد ،

(٣٥٨/١)

وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلبا للثواب ، فتلك عبادة الاجراء ، وقوم عبدوا الله عز وجل حبا له ، فتلك عبادة الاحرار ، وهي أفضل العبادة " . وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ما يقرب من ذلك

وقال علي عليه السلام في " نهج البلاغة " :

" أن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار " الوسائل مقدمة العبادات ، باب ما يجوز قصده من غايات النية الجزء ١ ص ١٠ .

* * *

التعليقة (٢٥)

ص ٤٨٠

الامر بين الامرين

وحسنات الناس وسيئاتهم

روى الحسن بن علي الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال :

" سألته فقلت : الله فوض الامر إلى العباد ؟ قال : الله أعز من ذلك .

قلت : فجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك . قال ثم قال : قال الله يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أول بسيئاتك مني . عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك " الوافي باب الخير والقدر الجزء ١ ص ١١٩ .

* * *

/ صفحة ٥٢٨ /

التعليقة (٢٦)

ص ٤٨٢

مصادر :

رواية الشفاعة

هذه الرواية : " لكل نبي دعوة وأردت إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة " مذكور في صحيح البخاري ، كتاب الدعوات باب ١ الجزء ٧ ص ١٤٥ ، وصحيح مسلم باب اختباء النبي دعوة الشفاعة لامته الجزء ١ ص ١٣٠ ، ١٣١ . وأخرجها عن أنس وعن جابر أيضا وأخرجها مالك في الموطأ عن أبي هريرة باب ما جاء في الدعاء الجزء ١ ص ١٦٦ طبعة مصطفى محمد المشروحة . وأخرجها ابن ماجة في سننه باب ذكر الشفاعة الجزء ٢ ص ٣٠١ طبعة المطبعة العلمية بمصر . وأخرجها أحمد في مسنده عن أبي هريرة الجزء ٢ ص ٢٧٥ ، ٣١٣ ، ٣٨١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٩ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٨٦ ، وعن أبي سعيد الخدري الجزء ٣ ص ٢ ، وعن أنس الجزء ٣ ص ١٣٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٠٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، وعن جابر الجزء ٣ ص ٣٨٤ ، ٣٩٦ ، وعن أبي ذر :

الجزء ٥ ص ١٤٨ .

* * *

الحمد لله على ما أنعم علينا بنشر هذا القسم من الكتاب ، راجين منه سبحانه أن ينفع به المسلمين وغيرهم ، ويجعله وسيلة إلى معرفة القرآن ، وفهم أسراره ومغازيه . نسأله التوفيق لاكمال هذا التفسير ، فإنه غاية السول ، ومنتهى المأمول . والله ولي التوفيق .

المؤلف

* * *